الفرق بين ان ـ واذا ـ ولو

الأصل عدم قطع المتكلّم بوقوع الشّرط فى المستقبل مع « ان »
ومن ثَمَّ كَثُرَ أن تُستعمل « إنْ » فى الأحوال التى يندُر وقوعها
ووجب أنْ يتلوَها لفظ المضارع لاحتمال الشكّ فى وقوعه (١)
بخلاف « اذا » فتُستعمل بحسب أصلها فى كلّ ما يَقطع المتكلّم بوقوعه
فى المستقبل ـ ومن أجل هذا لا تُستعمل « إذا » الآ فى الأحوال الكثيرة
الوقوع ، ويتلوها الماضى لدلالته على الوقوع قطعاً ـ كقوله تعالى (فإذَا
جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وإنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ)
فلكون مجىء الحسنة منه مُحققّاً ـ ذكر هو والماضى مع (اذا)
وإنّما كان ماذكر مُحققّا ـ لأنّ المرادَ بها مُطلقُ الحسنة الشامل لأنواع
كثيرة من خَصب ورخاء وكثرة أولاد ، كما يفهم من التّعريف بأل الجنسية
فى لفظة « الحسنة »

ولكون مجىء السّيئة نادراً ذُكر هو والمضارع مع (أن)
وإنّما كان ما ذُكر نادراً لأنّ المراد بها نوعٌ قليلٌ وهو جدْبٌ وبَلاءٌ
كما يُفهم من التّنكير فى لفظة « سيّئة » الدّال على التّقليل

ولو ـ تفيد انتفاءَ الشىء بسبب انتفاء غيره فى الماضى مع القطع

شىء على وجه العلم واليقين . وهكذا . (١) ولذا لا يقال إن طلعت الشمس أزرك :
لأن طلوع الشمس مقطوع بوقوعه ، وانما يقال إذا طلعت الشمس أزورك

بانتفاء الوقوع

ويجب كون جملتيها فعليتين ماضويتين، نحو: لو أتقنتَ عملك لبلغت أملك

وتُسمَّى «لو» حرف امتناع لامتناع ـ كقوله تعالى (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللهُ لَفَسَدَتَا) ونحو: (وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِين) أى انتفت هدايته إياكم بسبب انتفاء مشيئته لها

تنبيهات

الأول ـ يُعلم مما تقدم أن المقصود بالذات من الجملة الشرطية هو الجواب فاذا قلت إن اجتهد فريد كافأته. كنت مخبراً بأنك ستكافئه، ولكن فى حال حصول الاجتهاد، لا فى عموم الأحوال (١)

ويتفرع على هذا أنها تُعدّ خبرية أو انشائية باعتبار جوابها

الثانى ـ ماتقدم من الفرق بين «إن» و «إذا» هو مقتضى الظاهر

وقد يَخرُج الكلامُ على خلافه، فتستعمل «إنْ» فى الشرط المقطوع بثبوته أو نفيه — لأغراض كثيرة

«١» كالتجاهل ـ نحو قول المعتذر ـ ان كُنْتُ فعلتُ هذا فمن خطأ

---

(١) قال السكاكى قد يُقيّد الفعل بالشرط لاعتبارات تستدعى التقييد به ولا يخرج الكلام بتقييده به عما كان عليه من الخبرية والانشائية ـ فالجزاء إن كان خبرا فالجملة خبرية نحو إن جئتنى أكرمك أى أكرمك لمجيئك، وان كان انشاء فالجملة انشائية نحو ان جاءك خليل فأكرمه، أى أكرمه وقت مجيئه، فالحكم عنده فى الجمل المصدرة بإن وأمثالها فى الجزاء، وأما نفس الشرط فهو قيد للمسند فيه، وقد أخرجته الأداة عن الخبرية واحتمال الصدق والكذب

«ب» وكتنزيل المخاطب العالم منزلة الجاهل لمخالفته مقتضى علمه كقولك للمُتكبّر تو بيخاً له — إنْ كنتَ من تراب فلا تفتخر

«ج» وكتغليب غير المتّصف بالشّرط على المتّصف به كما إذا كان السّفرُ قطعيَّ الحصول لسعيد، غيرَ قطعيٍّ لخليل، فتقول ان سافرتما كان كذا[1] وقد تُستعمل إذا فى الشرط المشكوك فى ثبوته أو نفيه، لأغراض

(ا) منها الإشعار بأن الشّك فى ذلك الشّرط لاينبغى أن يكون مشكوكا فيه. بل لاينبغى ألاّ يكون مجزوماً به — نحو اذا كثُر المطر فى هذا العام أخصب النّاس

(ب) ومنها تغليب المتّصف بالشّرط على غير المتّصف به — نحو اذا لم تسافرْ كان كذا — وهلّم جرًّا من عكس الأغراض التى سبقت

الثالث — لمّا كانت (إن) و(إذا) لتعليق الجزاء على حصول الشرط فى المستقبل وجب أن يكون شرطُ وجزاءُ كلٍّ منهما جملةً فعليةً استقباليـة لفظاً ومعنى، كقوله تعالى (وإنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِماءٍ كَالْمُهْلِ)

---

(١) أى ففيه تغليب لمن لم يقطع له بالسفر على من قطع له به، فاستعملت إن فى المجزوم وهو من قطع له به بسبب تغليبه على من لم يقطع له به — وهذا السبب مساغ لذكر إن — واعلم أن التغليب (الذى هو أن يعطى أحد المصطحبين أو المتشاكلين حكم الآخر) باب واسع يجرى فى أساليب كثيرة لنكات عديدة، سمحت بها المطولات فى هذا المقام. واعلم أن المقصود بالذات من جملتى الشرط والجواب هو جملة الجواب فقط وأما جملة الشرط فهى قيد لها فاذا قلت ان زارنى سليم أكرمته فالمقصود أنك ستكرم سليما ولكن فى حال زيارته لك. فتعدّ اسمية أو فعلية خبرية أو إنشائية باعتبار الجواب كما سبق توضيحه مفصلا: فارجع اليه إن شئت

وكقول الشاعر * وإذا تُرَدّ إلى قَلِيلٍ تَقْنَعُ *

وَلا يُعدلُ عَن استقباليّة الجملة لفظاً وَمعنى الى استقباليتها معنى فقط إلاّ لدواعٍ غالباً

«ا» منها التّفاؤل — نحو — إنْ عِشتُ فعلتُ الخير (١)

«ب» ومنها تخييل إظهار غير الحاصل «وهو الاستقبال» فى صورة الحاصل «وهو الماضى» — نحو — إنْ متُّ كان ميراثى للفقراء

الرّابع — عُلم مما تقدّم من كون «لو» للشّرط فى الماضى لزومُ كون جملتى شرطها وجزائها فعليّتين ماضويّتين . وعدم ثبوتهما

وهذا هو مُقتضَى الظّاهر — وقد يخرج الكلام على خلافه

فتُستعمل «لو» فى المضارع لدواعٍ اقتضاها المقامُ — وذلك

«ا» كالاشارة الى أن المضارعَ الذى دخلت عليه يُقصد استمراره فيما مضى وقتاً بعد وقت ، وحصوله مرّة بعد أخرى — كقوله تعالى (لَوْ يُطِيعُكُم فى كثيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ) (٢)

«ب» وكتنزيل المضارع منزلة الماضى (لصدوره عمّن المُستقبلُ عنده بمنزلة الماضى فى تحقّق الوقوع ، ولا تخلّفَ فى أخباره كقوله تعالى (وَلَوْ

---

(١) وقد تستعمل إن فى غير الاستقبال لفظا ومعنى — وذلك فيما إذا قصد بها تعليق الجزاء على حصول الشرط فى الماضى حقيقة كقول أبى العلاء المعرى

فياوطنى إن فاتنى بك سابق من الدهر فلينعم بسا كنك البالُ

وقد تستعمل اذا أيضا فى الماضى حقيقة نحو حتى اذا ساوى بين الصّدفين وللاستمرار نحو: وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا (٢) أى امتنع عنتكم أى وقوعكم

تَرَى إذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ) (١)

المبحث التاسع

﴿ فى التقييد بالنفى ﴾

أَلتقييد بالنفى يكون لسلب النِّسبة على وجه مخصوص ممّا تفيده أحرف النّفى السّبعة — وهى — لا . وما . ولات . وإنْ ولنْ . ولم . ولمّا

(فلا) للنّفى مطلقاً — و(مَا وإنْ ولاَتَ) لنفى الحال إنْ دخلت على المضارع — و (لن) لنفى الاستقبال . و (لم ولمّا) لنفى المُضىّ — الاّ أنه (بلمّا) يَنسحبُ الى مابعد زمن التكلّم : ويختصّ بالمتوقّع — وعلى هذا فلا يقال لمّا يقم خليلٌ ثم قام . ولا : لمّا يجتمع النّقيضان — كما يقال لم يقم عـلىٌّ ثم قام ولم يجتمع الضّدّان ؛ فلمّا فى النفى تقابل (قد) فى الإثبات . وحينئذ يكون منفيُّها قريباً من الحال — فلا يصحّ لمّا يحى خليل فى العام الماضى

المبحث العاشر

﴿ فى التّقييد بالمفاعيل الخمسة ونحوها ﴾

أَلتقييدُ بها يكون لبيان نوع الفعل ؛ أو ماوقع عليه . أوفيه . أولأجله

فى جهد وهلاك بسبب امتناع استمراره فيما مضى على اطاعتكم (١) نزل وقوفهم على النار فى يوم القيامة منزلة الماضى فاستعمل فيه إذ ولفظ الماضى وحينئذ فكان الظاهر أن يقال ولو رأيت بلفظ الماضى — لـكن عدل عنـه الى المضارع تنزيلا للمستقبل الصادر عمّن لاخلاف فى خبره منزلة الماضى الذى عُلم وتحقّق معناه — كأنه قيل قد انقضى هذا الأمر وما رأيته — ولو رأيته لرأيت أمراً فظيعا

أو بمُقارنته . ويُقيّد بالحال لبيان هيئة صاحبها وتقييد عامِلها . ويُقيّد بالتّمييز لبيان ماخَفِيَ من ذات أو نسبة . فتكون القيودُ هي محطَّ الفائدة ، والكلام بدونها كاذبٌ ـ أو غيرُ مقصود بالذّات ـ كقوله تعالى (وَمَا خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ) وقد سبق القولُ في ذلك مفصّلا

تنبيهان

الأول ـ عُلم مِمَّا تقدَّم أن التّقييد بالمفاعيل الخمسة ونحوها للأغراض التي سبقت ـ وتقييدها اذا كانت (مذكورة)

أما إذا كانت (محذوفة) فتفيد أغراضاً أخرى

١ منها التَّعميم باختصار ـ كقوله تعالى (واللهُ يَدْعُوا إلى دَارِ السَّلَامِ) (أي جميعَ عباده) لأنّ حذف المعمول يؤذن بالعمُوم [١]

(ولو ذُكر لفات غرض الاختصار)

٢ ومنها الاعتماد على تقدُّم ذكره ـ كقوله تعالى (يَمْحُو اللهُ مَايَشَاءُ ويُثْبِتُ) أي ويُثبِتُ مايَشاءُ

٣ ومنها طلب الاختصار ـ نحو (يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ) أي يغفر الذُّنوب

٤ ومنها استهجان التّصريح به نحو :(مارأيتُ منه ولارأى منّي)أي العورة

---

(١) أي ما لم يكن تعلق فعل المشيئة بالمفعول غريبا كقوله

فلو شئت أن أبكي دما لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

وأعددته ذخراً لكلّ ملمّة وسهم المنايا بالذخائر أولع

فانّ تعلّق فعل المشيئة ببكاء الدم غريب . فلذا لم يحذف المفعول ليتقرر في نفس السامع

٥ ومنها البيانُ بعد الإبهام ـ كما فى حذف مفعول فعل المشيئة[١] ونحوها[٢] اذا وقع ذلك الفعل شرطا فأنّ الجواب يدلّ عليه ويبيّنه بعد إبهامه فيكون أوقع فى النفس ، ويقدّر المفعول مصدراً من فعل الجواب نحو (فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ) أى فمن شاء الإيمان

٦ ومنها المحافظة على سجع ـ أو : وزن

فالأول -- كقوله تعالى (سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى)

إذ لو قيل يخشى الله ـ لم يكن على سنن رؤوس الآى السّابقة

والثانى ـ كقول المتنبى

بَنَاهَا فأعلى والقَنَا يقرعُ القَنَا ومَوجُ المنايا حَولها مُتلاطِمُ

أى فأعلاها

٧ ومنها تعيّن المفعول ـ نحو رعت الماشية (أى نباتاً)

٨ ومنها تنزيل المتعدّى منزلة اللّازم لعدم تعلّق الغرض بالمعمول

بل يجعل المفعول نسياً ، بحيث لايكون ملحوظاً مقدّرا

ولايلاحظ تعلق الفعل به أصلا كقوله تعالى (هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ والَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)[٣]

---

(١) هذا التعميم وإن أمكن بذكر المفعول على صيغة العام ، لكن يفوت الاختصار المطلوب

(٢) أى مايرادفها فى المعنى كالارادة والمحبة (٣) أى فالغرض مجرد اثبات العلم ونفيه بدون ملاحظة تعلقه بمعلوم عام أو خاص ـ والمعنى لا يستوى من ثبتت له حقيقة العلم ومن لم تثبت له ، فلو قدر له مفعول وقيل هل يستوى الذين يعلمون الذين

الثانى ـ الأصل فى العامل أن يُقدَّم على المعمول

وقد يُعكس فيقدّم المعمول على العامل لأغراض شتّى

١ منها التّخصيص ـ نحو (إيَّاكَ نَعْبُدُ وإيَّاكَ نَسْتَعِين) (١)

٢ ومنها رَدُّ المخاطَب الى الصّواب عند خَطَئِهِ فى تعيين المفعول نحو : نصراً رأيتُ ـ ردًّا لمن اعتقد أنك رأيت غيره

٣ ومنها كون المتقدّم محطّ الإنكار مع التّعجب ـ نحو أبعدَ طُولِ التّجربةِ تنخدع بهذه الزّخارف

٤ ومنها رعاية مُوازاة رُؤوس الآى ـ نحو (خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ، ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ) وَهلمَّ جرًّا من بقية الأغراض التى سبقت (٢)

والذين لا يعلمونه لفات هذا الغرض (١) وذلك لأن المناسب لمقام عرض العبادة له تعالى تخصيصها به ، لا مجرد الاخبار بأنّ العبادة له ، فاستفادة التخصيص من التقديم إنما هى بحسب المقام لا بأصل الوضع

(٢) أى فيكون التقديم للتبرك والاستلذاذ وموافقة كلام السامع والاهتمام وضرورة الشعر ، وغير ذلك ـ واعلم أن اختلاف الترتيب بين المعمولات

إمّا لأمر معنوى نحو وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى ـ فلو أخر المجرور لتوهم أنه من صلة الفاعل ، والمراد كونه من صلة فعله

و إما لأمر لفظى نحو ولقد جاءهم من ربهم الهدى ـ فلو قدم الفاعل لاختلفت الفواصل لأنها مبنيّة على الألف ـ وقد يتقدم بعض المفاعيل على بعض إما لاصالة فى التقدم لفظا نحو حسبت زيداً كريما فان زيداً وإن كان مفعولا فى الحال لكنه مبتدأ فى الأصل ـ أو معنى نحو أعطى زيد عمراً درهما فان عمراً و إن كان مفعولا بالنسبة إلى زيد لكنه لايخلو من معنى الفاعلية بالنسبة إلى الدرهم لأنه آخذ والدرهم مأخوذ

تطبيق عام على الاطلاق والتقييد

اذا كنتَ فى نعمة فارعَها فانّ المعاصى تزيل النّعم

جملة فارعَها انشائية أمرية والأمر مستعمل فى أصل معناه ، المسند اليه أنت وهى مقيدة بالمفعول به لبيان ما وقع عليه الفعل ، ومقيدة بالشرط للتعليق ، وكانت أداة الشرط إذا لتحقق الحصول « فان المعاصى تزيل النعم » جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث ، والمراد بالخبر التحذير من المعاصى

المسند اليه المعاصى والمسند جملة تزيل ، وأتى به جملة لتقوية الحكم بتكرار الاسناد ، وقيّد بالمفعول به « النعم » لبيان ماوقع عليه الفعل ، والحكم مقيد بأنّ للتوكيد

إن اجتهد خليل أكرمته — الجملة « أكرمته » وهى جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائى المسند أكرم والمسند اليه التاء وهى مقيدة بالمفعول به لبيان ما وقع عليه الفعل ، و بالشرط للتعليق . وكانت أداة الشرط « إن » لعدم الجزم بوقوع الفعل

وأصابت تلك الرُّبى عين شمس أورثتها من لونها اصفرارا
كلما جال طرفها تركت النا س سكارى وما هم بسكارى

« وأصابت تلك الربى » جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائى . والمراد بالخبر أصل الفائدة ـ المسند أصاب ، ذكر لأن الأصل فيه ذلك . وقدّم لافادة الحدوث فى الزمن الماضى مع الاختصار ، والمسند اليه عين شمس ، ذكر لأن الأصل فيه ذلك وأخر لاقتضاء المقام تقديم المسند وخصص بالاضافة لتعينها طريقا لاحضار معناه فى ذهن السامع . والمضاف اليه شمس قيد بالصفة « أورثتها من لونها » لانها فى محل جر صفة شمس للتخصيص . وقيد الحكم بالمفعول به « تلك » لبيان ماوقع عليه الفعل وعرف المفعول به بالاشارة لبيان حاله فى البعد . وقيد المفعول بالبدل « الربى » لتقرير حاله فى نفس السامع « تركت الناس سكارى » هى الجملة لان الشرطية لا تعتبر إلا بجوابها وهى جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائى والمراد بالخبر التفخيم المسند اليه الناس ، ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك ، وعرف بأل للعهد الذهنى

لأن المراد بالناس الذين نظروا اليها ، والمسند سكارى ذكر وأخر لأن الاصل فيه ذلك ونكر للتهويل والحكم مقيد بترك لافادة التهويل وبالشرط للتعليق وكانت أداة الشرط كلما لافادة التكرار « وما هم بسكارى » جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث والمراد بالخبر أصل الفائدة ، المسند اليه هم والمسند سكارى والحكم مقيد بما لنفى الحال .

لا تيأسنّ وكن بالصبر معتصما لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

« لا تيأسن » جملة انشائية نهيية والمراد بالنهى الارشاد . المسند لاتيأس والمسند اليه أنت . و « كن بالصبر معتصما » أصلها أنت معتصم بالصبر . وهى جملة انشائية أمرية والمراد بالأمر الارشاد أيضا ، المسند اليه الضمير المستتر فى كن والمسند معتصما والحكم مقيد « بالصبر » لبيان ماوقع عليه الفعل ، وبالأمر « كن » لافادة التوقيت بالاستقبال « لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا » أصلها لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبر وهى جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائى والمراد بالخبر الحث على الصبر . المسند تبلغ والمسند اليه أنت والحكم مقيد بلن للنفى فى المستقبل . وبالجار والمجرور لبيان غاية الفعل ،

عسى الكرب الذى أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

فى البيت جملة انشائية غير طلبية وهى اسمية من الضرب الثالث لما فيهامن تقوية الحكم بتكرار الاسناد ـ المسند اليه « الكرب » ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك وعرف بأل للعهد الذهنى ، وقيد بالنعت « الذى أمسيت فيه » لتوضيحه والمسند يكون الخ والحكم مقيد بعسى لافادة الرجاء ـ وأما جملة النعت «الذى أمسيت فيه» فهى جملة خبريه اسمية من الضرب الابتدائى المسند اليه فيها التاء ـ والمسند الجار والمجرور والحكم مقيد بأمسى لافادة المساء وجملة الخبر « يكون وراءه فرج قريب» جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائى . المسند اليه فيها « فرج » ذكر لأن الأصل فيه ذلك وأخر لضرورة النظم وقيد بالنعت « قريب » لافادة القرب والمسند

وراءه — ذكر لأن الأصل فيه ذلك وقدم للضرورة والحكم مقيد بالناسخ « يكون » لافادة الاستقبال

يوشك من فرّ من منيّته في بعض غرّاته يوافقها

أصل الجملة يوشك من فر من منيته يوافقها فى بعض غراته وهى جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث ، والمراد بها التيئيس من الخلود فى هذه الدنيا ، المسند اليه «من» ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك وعرّف بالموصولية لعدم العلم بما يخصه غير الصلة والمسند جملة يوافقها . ذكر وأخّر لأن الاصل فيه ذلك وأتى به جملة لتقوية الحكم وقيد بالجار والمجرور لبيان زمنه . والحكم مقيد بالناسخ « يوشك » لافادة المقاربة

ان الثمانين وبلّغتها قد أحوجت سمعي الى ترجمان

ان الثمانين قد أحوجت . جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث والمراد بها اظهار الضعف ـ المسند اليه « الثمانين » ذكر وقدّم لان الاصل فيه ذلك ، وعرّف بأل للعهد الذهنى . والمسند (قد أحوجت) ذكر وأخّر لان الاصل فيه ذلك وأتى به جملة لتقوية الحكم ـ والحكم مقيد بأن وقد للتوكيد ، وأما قوله و بلغتها فهى معترضة للدعاء وهى جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائى . المسند اليه التاء والمسند بلغ ، والحكم مقيد بالمفعول به لبيان ما وقع عليه الفعل

اسئلة على الاطلاق والتقييد يطلب أجوبتها

ما هو الاطلاق ؟ . ـ ما هو التقييد ؟ ـ متى يكون الاطلاق ؟ . متى يكون التّقييد ؟ . لماذا يقيّد بالنعت ؟ ـ لماذا يقيد بالتوكيد ؟ . لماذا يقيد بعطف النسق ؟ . ـ لما ذا يقيد بالبدل ؟ . ـ لماذا يقيد بالمفاعيل الخمسة ؟ . لماذا يقيد بالحال ؟ . ـ لماذا يقيد بالتمييز ؟ . ـ لماذا يقيد بالنواسخ ؟ . ـ لماذا يقيد بضمير الفصل ؟ . لماذا يقيد بالشرط ؟ ـ ما الفرق بين إن وإذا ولو ؟ . ما المقصود

من الجملة الشرطية ؟ . ـ هل يمكن أن تستعمل إن فى مقام الجزم بوقوع الشرط ؟ . ـ هل يمكن أن تستعمل إذا فى مقام الشك ؟ : ـ هل يمكن أن تستعمل لو مع المضارع ؟ . لماذا يقيد بالنفى ؟

الباب السادس

﴿ فى أحوال متعلقات الفعل ﴾

الأصل فى الفعل بناؤه للمعلوم ، وقد يُبنى للمجهول ويُحذف الفاعل لأغراض شتّى .

١ للعلم به ـ نحو (خُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفاً)

٢ أو للجهل به ـ نحو ـ سُرق المتاع ـ اذا لم يُعرف السّارق

٣ أو للخوف عليه ـ نحو شُتِمَ الأمير . اذا خيف على الشّاتم

٤ أو للخوف منه ـ نحو قتل قَتيل : إذا خيف من القاتل

٥ أو للمُحافظة على سجع ـ نحو (من طابت سريرته حمُدت سيرته)

٦ أو لتعظيم الفاعل اذا كان الفعل خسيساً — أو صونه عن اللّسان نحو تُكلِّم بما لا يليق

٧ أو لتحقيره بصون اللّسان عنه نحو ـ قد قِيلَ ما قِيلَ

والأصل في المفعول أن يُؤَخّر عن الفعل ولا يُقدّمُ عليه إلاّ لأغراض كثيرة

١ منها التّخصيص ـ نحو (إيّاكَ نَعْبُدُ) ردًّا على من قال أعتقد غير ذلك

٢ ومنها رِعاية الفاصلة — نحو (ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ)

٣ ومنها التَّبرُّك — نحو — كتابٌ مقدَّسٌ تلوتُ

٤ ومنها التَّلذُّذ — نحو — الحبيبَ قابلتُ

والأصل فى العامل أن يُقدَّمَ على المعمول ؛ كما أنَّ الأصلَ فى المعمول أن تُقدَّم عُمدتُه على فَضلتِه — فيُحفظ هذا الأصلُ بين الفعل والفاعل

أمّا بين الفعل والمفعول ونحوه كالظَّرف والجارِّ والمجرور فيختلف التَّرتيب للأسباب الآتية

(ا) إمّا لأمرٍ معنويّ — نحو (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى) (فلو أُخِّر المجرور لتُوُهِّم أنه من صلة الفاعل وهو خلافُ الواقع لأنه صلةٌ لفعله)

(ب) وإمّا لأمرٍ لفظى — نحو (وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى)

فلو قُدِّم الفاعل لاختلفتِ الفواصلُ ، لأنها مبنيةٌ على الالف

(ج) وإما للأهميَّةِ — نحو — قُتل الخارجىُّ فلانٌ

وأمّا تقديم الفضلات على بعض — فقد يكون

(ا) للأصالة فى التقدُّم لفظاً — نحو — حسِبتُ الهلال طالعاً ،

فانَّ الهلال وان كان مفعولاً فى الحال لكنه مبتدأ فى الأصل

أو للأصالة فى التقدُّم معنى — وذلك كالمفعول الأول فى نحو : أعطى الأمير الوزير جائزة ، فإن الوزير وإن كان مفعولا بالنسبة الى الأمير ، لكنه فاعل فى المعنى بالنِّسبة الى الجائزة (١)

(ب) أو لإخلال فى تأخيره — نحو مررت را كباً بفلان — فلو أخرت

(١) لان الجائزة مأخوذة ، والآخذ لها الوزير الذى فيه معنى الفاعلية التى تستدعى حق التقدم

الحال لتُوهِّمَ أنها حال من المجرور ، وهو خلاف الواقع فانها حال من الفاعل والأصل فى المفعول ذكره . ولا يحذف إلاَّ لأغراض تقدَّم ذكرها

الباب السابع فى القصر

القصر لغة الحبس ـ واصطلاحا هو تخصيص أمر بآخرَ بطريق مخصوص أو ـ هو : إثبات الحكم لما يذكر فى الكلام ونفيه عمّا عداه بإحدى الطرق الآتية

نحو : ما فَهِم الا خليل ـ فمعناه تخصيص الفهم بخليل ، ونفيه عن غيره مِمَّن يُظَنُّ فيه ذلك ـ فما قبل « إلاَّ » وهو الفهم يسمّى مقصوراً ومابعدها وهو (خليل) يسمى مقصوراً عليه (وما ـ وإلا) طريق القصر ولكل قصر طرفان «مقصور، ومقصور عليه» وفى هذا الباب أربعة مباحث.

المبحث الاول

﴿ فى طُرق القصر ﴾

للقصر طُرُقٌ كثيرة — وأشهرها فى الاستعمال أربعة [1] وهى

١ — النفى والاستثناء، نحو : ماشوقى الاَّ شاعر ـ أو : ماشاعر الأشوق

---

(١) ومن طرق القصر التى ليست مشهورة الاستعمال لفظ :وحده . أو فقط . أو لاغير . أو ليس غير . أومادة الاختصاص، أو مادة القصر . أوتوسط ضمير الفصل . أو تعريف المسند اليه . أو تقديم المسند اليه على خبره الفعلى أحيانا وغير ذلك . وهذه الطرق خالية من اللطائف البلاغية وقد أوصلها السيوطى فى كتاب الاتقان فى علوم القرآن إلى أربعة عشر طريقا

أهمها الطرق الاربعة المشهورة الاستعمال وهى تختلف من أوجه كثيرة

٢ — وإنما — نحو : « إنّما يخشَى اللهَ من عباده العلماءُ »

٣ — والعطف بلا ـ وبل ـ ولكن ـ نحو :الأرض متحركة لا ثابتة أو: ما الأرض ثابتة بل متحركة ـ أو: ما الأرض ثابتة لكن متحركة

٤ — وتقديم ماحقّه التّأخير — نحو إيّاك نعبدُ وإيّاك نستعين

« وتوضيح ذلك » أن المقصور عليه « فى النفى والاستثناء » هو مابعد أداة الاستثناء ـ نحو : وما توفيق الا بالله

والمقصور عليه مع (إنما) يكون مؤخراً فى الجملة وجوباً نحو:انماالدنياغرُور

والمقصور عليه مع (لا) العاطفة هو الواقع قبلها والمُقابلُ لما بعدها نحو : الفخر بالعلم لا بالمال

والمقصور عليه مع (بل) أو(لكن) العاطفتين هو الواقع مابعدهما نحو : ما الفخر بالمال بل بالعلم ـ ونحو : ما الفخر بالنّسب لكن بالتّقوى

والمقصور عليه فى(تقديم ماحقّه التأخير) هو المُقدَّم نحو:على اللهتوكلنا

منها أن لا العاطفة لا تجتمع مع النفى والاستثناء لان شرط المنفى بها أن لا يكون منفيا صريحا قبلها بغيرها فلا تقول ما علىٌّ إلاّ مجتهدٌ لا متكاسل ـ ولذا عيب على الحريرى قوله

لعمرك ما الانسان إلا ابن يومه على ما تحلى يومه لا ابن أمسه

وتجتمع « لا » مع إنما أو التقديم نحو إنما أنا مصرى لا سورى . ونحو المجتهدَ أكرمتُ لا المتكاسلَ لان النفى فيهما غير مصرح به ـ ومنها أن الاصل فى الحكم مع النفى والاستثناء ـ أن يكون مجهولا منكراً للمخاطب (أى شأنه أن يجهله المخاطب وينكره) بخلاف إنما لان النفى مع الاستثناء لصراحته أقوى فى التأكيد من إنما فينبغى أن يكون لشديد الانكار . ونحو :قولك (وقد رأيت شبحاً من بعد) ما هو

ملاحظات

١ ـ للقصر بإنّما مزيّة على العطف لأنّها تفيد الاثبات للشيء ، والنفي عن غيره دَفعة واحدة ، بخلاف العطف فانه يفهم منه الاثبات أولا ، ثم النفي ثانياً ـ أو عكسه

٢ ـ القصر بالتّقديم لايُدَلّ عليه بطريق الوضع كالثلاثة الأول ، بل مرجع دلالته الى الذوق السليم والفكر الصّائب ـ ويُسمّي علماء المعاني التّخصيصَ المُستفادَ من هذه الوسائل بالقصر ـ ويُسمّون الوسائلَ نفسَها طُرُقَ القَصر

إلا زيد لمن اعتقد أنه غيره . ونحو : إن أنتم إلا بشر مثلنا . لما كانوا مصرّين على دعوى الرسالة مع زعم المكذبين امتناع الرسالة فى البشر . رد المكذبون إصرارهم عليها بقولهم ذلك

وقد ينزّل المعلوم منزلة المجهول لغرض بلاغى فيستعمل فيه النفى والاستثناء نحو (وما محمد إلا رسول) أى مقصور على الرسالة لا يتعدّاها الى التبرّى من الموت

وهذا معلوم للصحابة لكن لاستعظامهم موته لشدة حرصهم على بقائه صلى الله عليه وسلم نزّلوا منزلة من لا يعلمه

وقد ينزّل المجهول منزلة المعلوم نحو انما نحن مصلحون . لادّعائهم أن كونهم مصلحين أمر ظاهر . ولهذا رد عليهم بقوله (ألا إنهم هم المفسدون) مؤكدا بما ترى بالجملة ـ فالاستثناء لقوته يكون لرد تنديد الانكار حقيقة أو ادعاء ـ و « إنما » لضعفها تكون لرد الانكار فى الجملة حقيقية أو ادعاء ـ ومنها زيادة « انما » على العطف بمزية أنه يفهم منها الحكمان أعنى الاثبات للمذكور ـ والنفى عما عداه معاً ، بخلاف العطف فانه يفهم منه أولا الاثبات ، ثم النفى ، أو عكسه ، نحو انما خليل قائم ـ خليل قائم لا قاعد ـ وأحسن مواقعها التعريض نحو انما يتذكر أولوا الألباب

واعلم ان « غير » كإلاّ فى إفادة القصرين ، وفى امتناع اجتماعه مع لا العاطفة فلا يقال ما علىٌّ غير شاعر لامنجم ، وما شاعر غير على لا نصر

المبحث الثانى

﴿ فى تقسيم القصر باعتبار الحقيقة والواقع الى قسمين ﴾

(ا) قصر حقيقى [١] وهو أن يختصّ المقصورُ بالمقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع بألاّ يتعدّاه إلى غيره أصلا ـ نحو لا إلٰه إلاّ اللهُ

تنبيهات

الاول ـ الاصل فى العطف أن ينَص فيه على المُثبت له الحكم والمنفى عنه إلاّ إذا خيف التطويل ـ وفى الثلاثة الباقية يُنَص على المثبتْ فقط

الثانى — النفى بلا العاطفة ـ لا يجتمع مع (النفى والاستثناء) فلا تقول ماحمد إلا ذكى لاغبى . لان شرط جواز النفى بلا أن يكون ما قبلها منفيًّا بغيرها . ويجتمع النفى بلا العاطفة مع كل من انما والتقديم . فتقول : انما محمد ذكى لا غبى

وبالذكاء يتقدم محمد لا بالغباوة

الثالث ـ الاصل فى (النفى والاستثناء) أن يجئ لأمر ينكره المخاطب ـ أو يشكّ فيه ـ أو لما هو منزّل هذه المنزلة : ومن الاخير قوله تعالى : ومَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فى القُبُورِ * إنْ أَنْتَ إلا نَذِيرٌ

الرابع ـ الأصل فى (إنما) أن تجئ لأمر من شأنه أن لا يجهله المخاطب ولا ينكره ، وإنما يراد تنبيهه فقط . أو لما هو منزل هذه المنزلة . فمن الأول قوله تعالى : (إنَّمايَستَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ) وقوله تعالى (إنّماعليك البلاغ وعلينا الحساب) ومن الثانى قوله تعالى حكاية عن اليهود : إنّما نَحْنُ مُصْلِحُون ، فهم قد ادّعوْا أن إصلاحهم أمرٌ جلىٌّ لا شكّ فيه ـ وقال الشاعر

أنا الزّائد الحامى الذّمار وإنّما يُدافعُ عن أحسابهم أنَا أو مثلى

(١) ومنه نوع يسمى بالقصر الحقيقى الادعائى ويكون على سبيل المبالغة بفرض أن ما عدا المقصور عليه لا يعتدّ به

(ب) وقصر إضافى ـ وهو أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الإضافة والنسبة إلى شئ آخر معيَّن، لا لجميع ما عداه، نحو: ماخليل إلا مسافر: فانك تقصد قصر السفر عليه بالنسبة لشخص غيره كمحمود مثلا وليس قصدك أنه لايوجد مسافر سواه، إذ الواقع يشهد ببطلانه

المبحث الثالث

﴿ في تقسيم القصر باعتبار طرفيه ﴾

ينقسم القصر باعتبار « طرفيه المقصور والمقصورعليه »

سواء أكان القصر حقيقياً أم إضافياً إلى نوعين

(ا) قصر صفة على موصوف ـ ومثاله من الحقيقى (لا رازقَ إلاَّ الله)

ومثاله من الإضافى، نحو: لا زعيم إلاّ سعد

(ب) قصر موصوف على صفة. ومثاله من الحقيقى، نحو: ما الله إلاّ [1] خالقُ كلّ شىء [1]

ومثاله من الإضافى قوله تعالى (وَمَا مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ)

---

(١) قصر الموصوف على الصفة فى القصر الحقيقى لا يكاد يوجد لتعذر الاحاطة بصفات الشئ حتى يمكن إثبات شئ منها ونفى ما عداها ـ و يكثر القصر الحقيقى فى قصر الصفة على الموصوف بخلاف القصر الأضافى الذى يأتى كثيرا فى كلّ من قصر الصفة على الموصوف، وقصر الموصوف على الصفة ـ واعلم أنّ المراد بالصفة هنا الصفة المعنوية التى تدلّ على معنى قائم بشئ، سواء أكان اللّفظ الدال عليه جامدا أو مشتقا، فعلا أو غير فعل، وليس المراد بها الصفة النحوية المسماة بالنعت

أسباب ونتائج

الغاية من القصر تمكين الكلام وتقريره فى الذهن كقول الشاعر

وما المرء إلا كالهلال وضوئه ... يوافى تمام الشهر ثم يغيب

المبحث الرابع

﴿ في تقسيم القصر الأضافي ﴾

ينقسم القصر الإضافيُّ بنوعيه [١] على حسب حال المخاطب الى ثلاثة أنواع

(ا) قصر إفراد ـ إذا اعتقد المخاطب الشّركةَ ـ نحو إنّما الله إلهٌ واحدٌ « ردًّا على مَن اعتقد أنّ الله ثالثُ ثلاثةٍ »

(ب) قصر قلب — إذا اعتقد المخاطب عكسَ الحكم الذى تُثبتُه نحو: ماسافر إلا عليٌّ . « ردًّا على من اعتقد أن المسافرَ خليل لاعليٌّ »

ونحو: وما لامرئٍ طول الخلود وانما يخلّده طول الثناء فيخلد

وقد يراد بالقصر المبالغة فى المعنى كقول الشاعر

وما المرء الا الاصغران لسانه ومعقوله والجسم خَلْق مُصوّر

وكقوله ـ لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا على

وذو الفقار لقب سيف الامام على ، وسيف العاص بن منبه

والقصر قد ينحو فيه الاديب مناحىَ شتى ، كأن يتّجه الى القصر الاضافى رغبة فى المبالغة كقوله

وما الدنيا سِوى حلُم لذيذ تُنبّهُه تباشير الصّباح

وقد يكون من مرامى القصر التعريض كقوله تعالى (انما يتذكر أولوا الألباب) اذ ليس الغرض من الآية الكريمة أن يعلم السامعون ظاهر معناها ولكنها تعريض بالمشركين الذين فى حكم من لا عقل له

(١) بخلاف الحقيقى بنوعيه ، اذ العاقل لايعتقد اتصاف أمر بجميع الصفات أو اتصافه بجميعها الا واحدة ، أو يتردد فى ذلك ، كيف وفى الصفات ما هى متقابلة فلا يصح أن يقصر الحكم على بعضها و ينفى عن الباقى إفراداً أو قلباً أو تعيينا

فقد قلبتَ وعكستَ عليه اعتقادَه

(ج) قصر تعيين ـ إذا كان المخاطب يتردَّد فى الحكم: كما إذا كان متردِّداً فى كون الأرض متحرّكةً أو ثابتة فتقول له: الأرض متحركة لا ثابتة «ردًّا على مَنْ شَكَّ وَتَرَدَّد فى ذلك»

واعلم أن القصر يقع بين المبتدأ والخبر، وبين الفعل والفاعل، وبين الفاعل والمفعول، وغير ذلك من المتعلّقات

تطبيق (١)

وضِّح فيما يلى نوع القصر وطريقه

١ ماالدَّهرُ عندكَ إلارَوضةٌ أُنُفٌ ... يامَن شمائلُهُ فى دهره زهرُ (١)

٢ ليس عارٌ بأن يُقَالَ فقيرٌ ... إنما العارُ أن يُقال بخيلُ

٣ وإنما الأُمَمُ الأخلاق مابقيت ... فإن هُمُوا ذَهبتْ أخلاقُهم ذَهبُوا

٤ فلمّا أبى إلاَّ البكاءَ رَفَدْتُهُ ... بعَينين كانا للدُّمُوع على قَدْر (٢)

٥ مالنا فى مديحه غيرُ نظم ... للمساعى التى سعاها ووصفُ

م	الجملة	نوعه باعتبار المقصور	نوعه باعتبار الواقع	طريقه
١	ما الدهر . .	موصوف على صفة	إضافى	النفى والاستثناء
٢	انما العار . .	موصوف على صفة	»	إنما
٣	انما الأمم	موصوف على صفة	حقيقى ادعائى	»
٤	فلما أبى . . .	صفة على موصوف	إضافى	النفى والاستثناء
٥	مالنا	» »	»	» »

وعلى هذا المنوال قصر الصفة على الموصوف . كما فى المطول وشراح التجريد

(١) روضة أنف ، لم يرعها أحد (٢) رفده أعانه. قدر مصدر قدر على الشئ بمعنى

٦ بك اجتمع الملك المُبَدَّدُ شَمْلُهُ وضُمَّتْ قَواصٍ منه بعد قَواصى (١)

٧ سيذكرنى قومى إذا جَدَّ جِدُّهُمُ وفى الليلة الظلماء يُفْتَقَدُ البدرُ (٢)

٨ ما افترقنا فى مديحه بل وَصَفْنَا بعضَ أخلاقه وذلك يَكفى

تطبيق (٢)

١ قال الله تعالى (إِنَّمَا اللهُ إِلٰهٌ وَاحِدٌ)

٢ قال تعالى (إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ)

٣ قال تعالى (لِلّٰهِ مَا فِى السَّمٰوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ)

٤ قال تعالى (إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ)

٥ فإنْ كان فى لبس الفتى شَرَفٌ له فما السَّيْفُ إلا غِمده والحمائلُ (٣)

	الجملة	نوعه باعتبار المقصور	نوعه باعتبار الواقع	طريقه
٦	بك اجتمع	صفة على موصوف	إضافى	تقديم الجار والمجرور
٧	وفى الليلة . .	موصوف على صفة	»	» » »
٨	ما افترقنا . .	» »	اضافى	بل

	الجملة	نوعه باعتبار الواقع	باعتبار المقصور	باعتبار المخاطب	طريقه
١	إنما الله	إضافى	موصوف على صفة	إفراد	إنما
٢	إن حسابهم	»	» »	»	النفى والاستثناء
٣	لله ما فى السموات .	حقيقى	صفة على موصوف		التقديم
٤	إن أنتم	إضافى	موصوف على صفة	إفراد	النفى والاستثناء
٥	فما السيف	»	» »	محتمل	» »

اقتدر (١) المبدد المفرق . القواصى جمع قاصية ، وهى الناحية البعيدة (٢) جد فى أمره اجتهد . والجد (بكسر الجيم) . الاجتهاد . وضده الهزل . يفتقد . يطلب

(٣) جفن السيف غمده : والحمائل : جمع حمالة : علاقة السيف .

٦ ليس اليتيمُ الذى قَدْمَات والدُه بَلِ اليتيمُ يَتيمُ العِلم والأَدب
٧ وماشاب رأسى من سنين تتابَعت علىَّ ولكن شيبتنى الوقائع
٨ إن الجَديدَين فى طول اختلافهما لا يَفسُدَان ولكن يَفسُدُ الناسُ
١ لا يألف العلم إلا ذكى — ولا يجفوه إلا غبىّ
٢ قد علمتْ سَلْمى وجاراتُها ما قطَّرَ الفارس إلاَّ أنا
٣ إنما الدنيا هِباتٌ وعوارٍ مُستَرَدَّهْ
شِدَّةٌ بعد رَخاء ورَخاء بعد شِدَّة
٤ على الله توَكَّلْنا — إنّما الأعمال بالنيّات، وإنّما لكل امرئ ما نوى
٥ محاسنُ أوصاف المغنّين جمّة وما قصباتُ السبْق إلا لمعْبَد
٦ الى الله أشكو أنّ فى النفس حاجةً تمُرّ بها الأيام وهى كما هِيَا
٧ عند الامتحانِ يُكرمُ المرءُ أو يُهان

رقم	الجملة	نوعه باعتبار الواقع	باعتبار المقصور	باعتبار المخاطب	طريقه
٦	ليس اليتيم ...	إضافى	صفة على موصوف	محتمل	العطف ببل
٧	وما شاب	»	» »	»	» بلكن
٧	لايفسدان	»	» »	»	» »

رقم	الجملة	نوعه باعتبار المقصور	باعتبار الواقع	طريقه
١	لا يألف العلم الا ذكى	قصر صفة على موصوف	حقيقى	النفى والاستثناء
٢	ما قطر الفارس الا أنا	» » » »	»	» »
٣	انما الدنيا هبات	قصر موصوف على صفة	إضافى	إنما
٤	على الله توكلنا	قصر صفة على موصوف	»	التقديم
٥	ما قصبات السبق الا الخ	قصر صفة على موصوف	إضافى	النفى والاستثناء
٦	الى الله اشكو	» » » »	حقيقى	التقديم
٧	عند الامتحان يكرم الخ	قصر صفة على موصوف	اضافى	التقديم

٨ هاتِ جملةً تفيد نجاحَ سعد ـ وعدم نجاحَ سعيد ـ بواسطة إنما

٩ رُدَّ بطريق القصر بأنما على من ظنَّ أن المطر يكثر شتاء فى السودان

١ (ا) مَنْ تُخاطب بالجملة الآتية ؟؟ فيكون القصر قصر قلب

(ب) » » » » » » » إفراد

(ج) » » » » » » » تعيين

وهى (ما أدَّيتُ الا الواجبَ علىَّ)

٢ غيِّر الجملة الآتيةَ بحيث تفيد القصرَ بالعطف

« بالاختراعات الحديثه ارتقت الأمم العربيّة »

أسئلة على القصر يطلب أجوبتها

ماهو القصر لغة واصطلاحا ؟؟ كم قسما القصر ؟؟ ماهو القصر الحقيقى ماهو القصر الاضافى ؟ ـ كم قسما القصر الحقيقى ؟ ـ كم قسما القصر الاضافى مامثال قصر الصفة على الموصوف من الحقيقى ؟ ـ مامثال قصر الصفة على الموصوف من الأضافى ؟ مامثال قصر الموصوف على الصفة من الحقيقى ؟ مامثال قصر الموصوف على الصفة من الأضافى ؟ ـ كم قسما الإضافى بقسميه ؟ على من يُرَدّ بقصر الأفراد ؟ ـ على مَن يُرَدُّ بقصر القلب ؟ ـ على من يُرَدُّ بقصر

---

(٨) إنما نجح سعد لا سعيد (٩) إنما يكثر المطر فى السودان ربيعا لا شتاء

(١) (ا) اذا كان المخاطب يعتقد أنك أديت غير الواجب عليك

(ب) اذا كان المخاطب يعتقد أنك أديت الواجب وغيره

(ج) اذا كان المخاطب مترددا فى تأدية الواجب وغيره

(٢) ارتقت الأمم الغربية بالاختراعات الحديثة لا بغيرها

التعيين ؟ ـ ماهى طرق القصر المصطلح عليها فى هذا الباب ؟ ما أقواها
أيمكن وقوع القصر بين الفعل والفاعل ؟ ايمكن وقوع القصر بين الفاعل والمفعول
أيمكن وقوع القصر بين الفعل ومعمولاته ؟ . ـ أيمكن وقوع القصر بين
المفعولين ؟ . ـ متى يجب تأخير المقصور عليه ؟ ومتى يكثر تأخير المقصور
عليه ؟ . ـ لماذا يجب تأخير المقصور مع انما ؟ ـ ويكثر مع النفى والاستثناء ؟ !

تطبيق عام على القصر — والابواب السابقة

لا حول ولا قوة إلا بالله ـ جملتان خبريتان اسميتان من الضرب الثالث لما فيهما من التوكيد بالقصر الذى هو أقوى طرق التوكيد ـ المسند اليه (حول وقوة) والمسند الجار والمجرور . ولا نظر لتقديم الخبر لأن ذلك مراعاة لقاعدة نحوية لا يعتبرها أهل المعانى ولا يعدون حذفه ايجازاً . والحكمان مقيدان بالنفى والاستثناء لافادة القصر ـ ففيهما قصر صفة وهى التحول عن المعاصى ، والقوة على الطاعة على موصوف وهو الذات الأقدس . وهو قصر اضافى طريقه النفى والاستثناء . ثم ان كان للرد على من يعتقد أن التحول عن المعاصى والقوة على الطاعة بغير الله تعالى فهو قصر قلب . أو على من يعتقد الشركة فهو افراد . أو على من يتردد فهو تعيين

اياك نعبد واياك نستعين ـ جملتان خبريتان فعليتان من الضرب الثالث . المسند . نعبد ونستعين . والمسند اليه الضمير المستتر فيهما ـ وهما مقيدتان بالمفعولين إياك . وقدم المفعولين لافادة القصر ـ ففيهما قصر صفة وهى العبادة والاستعانة على موصوف وهو الذات الأقدس . طريقه تقديم ما حقه التأخير ـ وهو اضافى . ثم ان كان للرد على من يعتقد أن المعبود غير الله تعالى ـ فهو . قلب ـ أو على من يعتقد الشركة فهو افراد . أو على من يتردد فهو ـ تعيين

انما شوقى شاعر ـ فيه قصر موصوف وهو شوقى على صفة وهى الشعر ـ طريقه انما ـ وهو قلب أو إفراد أو تعيين على حسب حال المخاطب

الله الغفور الرحيم ـ فيه قصر الصفة وهى المغفرة والرحمة ـ على موصوف وهو الله تعالى ـ طريقه تعريف المسند بأل

وهو قلب ـ أو افراد ـ أو تعيين ـ على حسب حال المردود عليه

إنما الشجاع علىّ — فيه قصر صفة وهى الشجاعة ـ على موصوف وهو علىّ طريقه إنما

المرء بأدابه لا بثيابه ـ فيه قصر الموصوف على الصفة ، قصر قلب بين المسند اليه والمسند . طريقه العطف بلا

إنما الاله واحد — فيه قصر الموصوف على الصفة ، قصرا حقيقيا ـ طريقه إنما . وهو واقع بين المسند اليه والمسند

الباب الثامن

﴿ فى الوصل والفصل ﴾

العلم بمواقع الجُمل ، والوقوف على ماينبغى أن يصنع فيها من العطف والاستئناف والتهدى إلى كيفية إيقاع حروف العطف فى مواقعها ، أو تركها عنـد عدم الحاجة اليها صعبُ المسلك ، لا يُوفّق للصّواب فيـه الاّ مَن أوتى قسطا وافراً من البلاغة وُطبع على إدراك محاسنها ، ورُزق حظّاً من المعرفة فى ذوق الكلام ، وذلك لغموض هـذا الباب ودِقّة مسلـكه ، وعظيم خطره . وكثير فائدته ، يدلّ لهذا أنهم جعلوه حدا للبلاغة ـ فقـد سُئل عنها بعض البلغاء فقال : هى « معرفة الفصل والوصل » فالوصل عطف جملة على أخرى بالواو ونحوها ـ والفصل ترك هذا العطف (١)

---

(١) اعلم أنه اذا توالت الجملتان . لايخلو الحال من أن يكون — للاولى محل من الأعراب ـ أولاَ . وان كان لها محل من الاعراب فلا بد من أن يقصد تشريك الثانية لها فى حكم الاعراب ـ أولا . فان قصد التشريك عطفت الثانية عليها نحو الله يحيى ويميت ـ والاّ فصلت عنها نحو قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون الله يستهزئ

والذى يَتكلّم عليه علماء المعانى هُنَا العطفُ » بالواو » خاصّة دون بقيّة حروف العطف ـ لأنّ الواو هى الأداة التى تخفى الحاجةُ اليها ، ويحتاج العطف بها الى لُطف فى الفهم ، ودقّة فى الإدراك ، إذ لا تفيد إلاّ مجرّدَ الرّبط وتشريكَ ما بعدها لما قبلها فى الحكم ـ بخلاف العطف بغيرها فيفيد مع التّشريك معانى أخرى ـ كالتّرتيب مع التّعقيب فى الفاء ـ وكالتّرتيب مع التّراخى فى ثُمَّ ـ وهكذا باقى حروف العطف التى إذا عُطف بواحد منها

بهم . لم يعطف قوله الله يستهزئ بهم على ما قبله لئلا يشاركه فى حكم المفعولية للقول وهو ليس مما قالوه كما سيأتى ـ وإن لم يكن لها محل من الاعراب فان كان لها حكم لم يقصد اعطاؤه للثانية وجب الفصل ـ دفعا للتشريك بينهما ـ نحو انما أنت منذر ولكل قوم هاد . الله يعلم ما تحمل كل أنثى ـ لم يعطف (قوله الله يعلم) على ما قبله لئلا يشاركه فى حكم القصر فيكون تعالى مقصورا على هذا العلم ـ وان لم يكن لها ذلك الحكم نحو : زيد خطيب وعمرو متشرع ـ أو قصد اعطاء حكمها للثانية نحو انما زيد كاتب وعمرو شاعر ، وجب الوصل كما رأيت — ما لم تكن احدى الجملتين مطلقا منقطعة عن الاخرى انقطاعا كاملا بحيث لا يصح ارتباطهما — أو متصلة بها اتصالا كاملا بحيث لا تصح المغايرة بينهما . فيجب الفصل لتعذر ارتباط المنقطعتين بالعطف وعدم افتقار المتصلتين الى ارتباط به . ويحمل شبه كل واحد من الكمالين عليه فيعطى حكمه ـ واعلم انه لا يقبل فى العطف الا عطف المتناسبات مفردة أو جملا بالواو أو غيرها ، فالشرط وجود جهة جامعة بين المتعاطفات ، فنحو الشمس والقمر والسماء والارض ، محدثة (مقبول) ونحو الشمس والارنب والحمار . محدثة (غير مقبول) لكن اصطلاحهم اختصاص الوصل والفصل بالجمل ، وبالواو ـ فلا يحسن الوصل الا بين الجمل المتناسبة . لا المتحدة ولا المتباينة . والافصل ـ واعلم انه ان وجدت الواو بدون معطوف عليه قدّر مناسب للمقام ـ نحو (أوكلما عاهدوا عهداً)

ظهرت الفائدة ، ولايقع اشتباه فى استعماله

وشرط العطف بالواو أن يكون بين الجملتين جامعٌ كالمُوافقةِ فى نحو : يقرأ ويكتبُ ، وكالمُضادّة فى نحو يضحك ويبكى ،

وإنّما كانت المضادّة فى حكم المُوافقة ، لأنّ الذّهن يتصوّر أحد الضّدّين عند تصوّر الآخر ، فالعلم يخطر على البال عند ذكر الجهل كما تخطر الكتابة عند ذكر القراءة ،

والجامع يجب أن يكون باعتبار المسند اليه والمسند جميعاً فلا يُقال خليل قادم ، والبعير ذاهب ، لعدم الجامع بين المسند اليهما

كما لايقال : سعيد عالم ، وخليل قصير ، لعدم الجامع بين المسندين

وفى هذا الباب مبحثان

المبحث الاول

﴿ فى مواضع الوصل ﴾

الوصلُ عطفُ جملة على أُخرى بالواو ونحوها ـ ويقع فى ثلاثة مواضع [١]

الأول — إذا اتّفقت الجملتان فى الخبرية والإنشائية لفظاً ومعنى أو معنى فقط[٢] ولم يكن هناك سببٌ يقتضى الفصل بينهما . وكانت بينهما مُناسبةٌ تامّة كقوله تعالى (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ . وَإِنَّ الْفُجَّارَ

فيقدر أ كفروا وكلما عاهدوا لان الهمزة تستدعى فملا (١) الوصل يقع وجوبا بين جملتين متناسبتين لا متحدتين ولا مختلفتين كما سيأتى تفصيل ذلك (٢) المعول عليه اتفاقهما فى المعنى لأن العبرة به ولاقيمة لاختلاف الصورة اللفظية

لَفِي جَحِيمٍ) وقوله تعالى (فادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ)
وقوله تعالى (إِنِّي أُشْهِدُ اللهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ)
أى إِنِّي أُشْهِدُ اللهَ وأُشْهِدُكُم (١) : فتكون الجملة الثانية فى هذه الآية إنشائية لفظا ، ولكنّها خبرية فى المعنى (٢)

ونحو : إذهبْ الى فلان وتقول له كذا ، فتكون الجملة الثانية من هذا المثال خبرية لفظا . ولكنها انشائية معنى « أى وقلْ له »

فالاختلاف فى اللفظ لا فى المعنى المُعوّل عليه ، ولهذا وجب الوصل وعطف الجملة الثانية على الاولى لوجود الجامع بينهما ، ولم يكن هناك سبب يقتضى الفصل بينهما ، وكل من الجملتين لا موضع له من الاعراب

الثانى ـ اذا اختلفت الجملتان فى الخبرية والانشائية وكان الفصل يُوهِم خِلاَف المقصود (٣) كما تقول مجيباً لشخص بالنّفى « لاوشفاه الله (٤) »
لمن يسألك هل بَرِئَ عَلِيٌّ من المرض ؟؟ « فتركُ الواو يُوهِم السّامع

---

(١) والداعى لذكر الجملة الثانية انشائيـة ولم تذكر كالأولى خبرية لأجل التحاشى عن مساواة شهادتهم بشهادته تعالى ـ تعالى الله عما يقولون علوا كبيراً

(٢) اعلم أن صور الجملتين ثمانية ـ لأنهما (إماخبريتان) لفظا ومعنى أو معنى لا لفظا — أو الأولى جملة خبرية معنى لا لفظا ـ أو بالعكس

(و إما انشائيتان) لفظا ومعنى ـ أومعنى لالفظا ـ أوالاولى جملة خبرية صورة والثانية انشائيـة ـ أو بالعكس كما مثلنا (٣) أما اذا لم يحصل إيهام خلاف المقصود فيجب الفصل نحو سافر فلان سلمه الله (٤) فجملة شفاه الله خبرية لفظا انشائية معنى والعبرة بالمعنى ـ واعلم أن « لا » فى هـذا الموضع قائمة مقام جملة خبرية اذ التقدير « لابرء حاصل له » وهكذا يقدر المحذوف بحسب كل مثال يليق به

الدُّعاء عليه ، وهُو خلافُ المقصود ، لأن الغرض الدعاء له »

ولهـذا وجب أيضا الوصـل وعطف الجملة الثانيـة على الاولى لدفع الإيهام ، وكلٌّ من الجملتين لامحل له من الاعراب

الثالث ـ اذا كان للجملة الأولى محلٌّ من الاعراب ، وقصد تشريك الجملة الثانية لها فى الاعراب حيث لا مانع نحو : علىٌّ يقول ويفعل

فجملة يقول فى محل رفع خبر المبتدأ ، وكذلك جملة : ويفعل ، معطوفة على جملة يقول وتشاركها بأنها فى محل رفع خبر ثان للمبتدأ

وحكم هذه الجملة حكم المفرد المُقتضِي مُشاركة الثّانى للأوّل فى إعرابه والأحسن أن تتفق الجملتان فى الإسمية والفعلية ، والفعليتان فى الماضوية والمضارعية

أى أن تُعطف الاسمية على مثلها ، وكلّ من الماضوية والمضارعيّة على مثلها ـ وكذا الإسميتان فى نوع المسند من حيث الإفراد والجمليّة والظّرفية:

ولا يَحسن العدولُ عن ذلك إلاّ لِأغراض

« ا » كحكاية الحال الماضيـة ، واستحضار الصّورة الغريبـة فى الذهن نحو (إنَّ الذينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبيلِ اللهِ ، فَرِيقاً كَذَّبْتمْ وفَرِيقاً تَقْتلُون)

« ب » وكإفادة التجدُّد فى احداهما ، والثُّبوتِ فى الأخرى ـ نحو : (أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِين) فقـد لُوحظَ فى الأولى إحداثُ تعاطِى الحقّ — وفى الثانية الاستمرار على اللّعب ، والثّبات عَ

حالة الصبا — ونحو : الصّديق يُكاتبني وأنا مقيمٌ على وُدّهِ (١)

المبحث الثانى

﴿ فى مواضع الفصل ﴾

مِن حقّ الجُمَل اذا ترادفت ووقع بعضُها إثر بعض أن تُربطَ بالواو لِتكونَ على نَسق واحد — ولكن قد يَعرِضُ لها مايُوجب تركَ الواو فيها ويُسمى هذا فصلا — ويقع فى خمسة مواضع

الأول — أن يكون بين الجملتين اتحادٌ تامٌ وامتزاجٌ معنوىٌ حتّى كأنّهما أُفرغَا فى قالَب واحد ، ويُسمّى ذلك « كمالَ الاتصال »

الثانى — أن يكون بين الجملتين تباينٌ تامٌ بدون إيهامَ خلاف المراد ويُسمَّى ذلك « كمالَ الانقطاع »

الثالث — أن يكون بين الجملتين رابطة قويّة ، ويُسمّى « شِبهَ كمال الاتصال »

الرابع أن يكون بين الجملة الأولى والثالثة جملةٌ أخرى متوسطة حائلة بينهما فلو عطفت الثالثةَ على « الأولى المناسبةِ لها » لتوُهّم أنها معطوفة على « المتوسّطة » فيترك العطف ، ويسمّى « شِبهَ كمال الانقطاع »

الخامس — أن يكون بين الجملتين تناسبٌ وارتباط لكن يمنع من عطفهما مانعٌ وهو عدم قصد اشتراكهما فى الحكم ، ويُسمّى « التوسُّطَ بين الكمالين »

---

(١) وذلك لأنّ الدّلالة على التجدّد تكون بالجملة الفعليّة ، وعلى الثبوت بالجملة الاسمية — ومثل هذا يحصل عند إرادة المضى فى احداهما والمضارعية فى الاخرى

ايضاح وتحديد

لكل موضع من مواضع الفصل الخمسة السابقة — وهى الموضع الأول — « كمال الاتصال » وهو اتحادُ الجملتين اتحاداً تاماً وامتزاجاً معنوياً بحيث تُنزَّل الثانية من الأولى منزلةَ نفسها

« ا » بأن تُجعَل بدلاً منها نحو (أمدَّكم بما تعلمون أمدَّكم بأنعام وبنين)(١)

« ب » أو بأن تُجعل بياناً لها — كقوله تعالى (فوسوس إليه الشيطانُ قالَ يا آدمُ هلْ أدلُّكَ على شجرةِ الخُلْدِ)

« ج » أو بأن تُجعل مؤكِّدة لها — كقوله تعالى (فمهِّلِ الكافرينَ أمهِلْهُمْ رُوَيْداً) فالمانع من العطف فى هذا الموضع اتحاد الجملتين اتحاداً تاما يمنع عطف الشئ على نفسه ؛ ويُوجب الفصل

الموضع الثانى « كمال الانقطاع » وهو اختلاف الجملتين اختلافاً تاماً

« ا » بأن يختلفا خبراً وإنشاء، لفظاً ومعنى ، أومعنى فقط نحو: حضر الأمير حفظه الله : ونحو تكلّمْ إنّى مُصغٍ اليك — وكقول الشاعر

وقال رائدُهم أرسوا نُزاولها فحتفُ كلّ امرئ يجرى بمقدار (٢)

---

(١) هذا فى بدل البعض — وأما فى بدل الكل فنحو — بل قالوا مثل ما قال الأولون . قالوا أنذا متنا — وأما بدل الاشتمال فنحو قوله

أقول له ارحل لا تُقيمَنّ عندنا وإلاّ فكن فى السر والجهر مُسلما

فجملة لا تقيمن بدل من ارحل بدل اشتمال لان بينهما مناسبة بغير الكلية والجزئية

(٢) أى أوقفوا السفينة كى نباشر الحرب ولا تخافوا من الموت فان لكل أجل كتابا — أى فالمانع من العطف فى هذا الموضع أمر ذاتى لا يمكن دفعه أصلا وهو كون احداهما جملة خبرية والأخرى انشائية ولا جامع بينهما

«ب» أو بألاّ تكون بينهما مناسبة فى المعنى ولا ارتباط — كقولك علىٌّ كاتبٌ . الحمام طائر ، فانه لا مناسبة بين كتابة علىّ . وطيران الحمام

فالمانع من العطف فى هذا الموضع « أمر ذاتى » لايمكن دفعه أصلا وهو التّباين بين الجملتين ، ولهذا وجب الفصل وترك العطف، لأنّ العطف يكون للرّبط ، ولا ربط بين جُملتين فى شدة التّباعد وكمال الانقطاع

الموضع الثالث « شبه كمال الاتصال » وهو كون الجملة الثانية قويّة الارتباط بالأولى لوقوعها جواباً عن سؤال يُفهم من الجملة الأولى ـ فتُفصَلُ عنها كما يفصل الجواب عن السّؤال ـ نحو : وما أبرّئ نفسى إنّ النّفسَ لأمّارة بالسُّوء [1] ونحو

زعم العَوازلُ أنّنى فى غَمرة صَدَقُوا ولكنْ غمرتى لاتَنجلِى

« كأنه سُئِل : ـ أصدَقوا فى زعمهم أم كذبوا ؟؟ فأجاب : صدقوا »[2]

فالمانع من العطف فى هذا الموضع وجود الرابطة القويّة بين الجملتين فأشبهت حالة اتحاد الجملتين ـ ولهذا وجب أيضا الفصل

الموضع الرابع « شبه كمال الانقطاع » وهو أن تسبق جملةٌ بجملتين يصحُّ عطفها على الأُولى لوجود المناسبة ، ولكن فى عطفها على الثانية فسادٌ فى المعنى ، فيُترك العطف بالمرّة دفعاً لتوهُّم أنه معطوف على الثانية ـ نحو

---

(١) الجملة الثانية شديدة الارتباط بالجملة الاولى لانها جواب عن سؤال نشأ من الاولى « لِمَ لا تبرّئ نفسك ؟؟ » فقال « إنّ النفس لامّارة بالسوء » فبهذه الرابطة القويّة بين الجملتين مانعة من العطف فأشبهت حالة اتحاد الجملتين ـ و بذلك ظهر الفرق بين كمال الاتصال ، وشبه كمال الاتصال

(٢) و بيان ذلك بعبارة أخرى أنه اذا اجتمعت جملتان : فذلك على خمسة أحوال

وَتَظُنُّ سَلمَى أَنَّنى أَبغِى بها بدلاً أُراها فى الضلال تَهِيمُ

فجملة « أُراها » يصح عطفها على جملة « تظنّ » لكن يمنع من هذا توهُّم العطف على جملة « أبغِى بها » فتكون الجملة الثالثة من مظنونات سلمى ، مع أنه غير المقصود — ولهذا امتنع العطف ووجب أيضا الفصل

والمانع من العطف فى هذا الموضع « أمر خارجى احتمالى » يمكن دفعه « بمعونة قرينة » ومن هذا ومما سبق يُفهم الفرق بين كلّ من « كمال الانقطاع ـ وشبه كمال الانقطاع »

أولا — أن تكون الثانية بمعنى الاولى ، أو جزءاً منها ، فيجب ترك العطف لأن الشئ لا يُعطف على نفسه ، وكذا الجزء لا يُعطف على كلّه

فيقال حينئذ إنّ بين الجملتين كمال الاتصال ـ ومواضعه :

« ا » أن تكون الثانية توكيداً للأولى ـ مثل قوله تعالى (مَا هذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ)

«ب» أن تكون الثانية بدلا من الأولى ـ مثل أطعتُ الله . أدّيتُ الصلاة

«ج» « « « بياناً للأولى ـ مثل بثَّ شكواه . قال إنى لا أجد قوت يومى

ثانيا — أن تكون الثانية مباينة للأولى تمام المباينة ، فيجب ترك العطف لأن العطف يكون للربط ، ولا ربط بين المتباينين ، فيقال بين الجملتين كمال الانقطاع . ومواضع ذلك

« ا » أن تختلفا خبراً و إنشاء مثل — مات فلان رحمه الله

إلا اذا أوهم ترك العطف خلاف المقصود فيجب العطف نحو لا وشفاك الله

«ب» أن تتحدا خبراً و إنشاء ولكن لا يوجد بينهما رابط ، مثل القمر طالع — أكلت كثيراً

الموضع الخامس « التوسّط بين الكمالين مع قيام المانع » وهو كون الجملتين متناسبتين وبينهما رابطة قويّة ـ لكن يمنع من العطف مانع ، وهو عدم قصد التّشريك فى الحكم ـ كقوله تعالى (وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قالوا إنّا معكم إنّما نحن مُسْتَهْزِئُونَ اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ » فجملة « اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ » لا يصح عطفها على جملة « إنّا معكم » لاقتضائه أنه من مقول المنافقين والحال أنه من مقوله تعالى « دعاء عليهم » ولا على جملة « قالوا » لئلاّ يُتوهّم

ثالثاً — أن تكون الجملتان متناسبتين و بينهما رابطة ، و يُسمَّى ذلك التوسطَ بين الكمالين ـ وذلك على نوعين

«ا» ألاّ يمنع من العطف مانع فيعطف ـ مثل اجتهدوا وتأدبوا

«ب» أن يمنع من العطف مانع ـ وهو عدم قصد التشريك فى الحكم فيمتنع العطف مثل قوله تعالى (وَإِذَا خَلَوْا إلى شَيَاطِينِهِمْ قالوا إنّا معكم إنّما نحن مُسْتَهْزِئُونَ اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ)

رابعاً — أن تكون الثانية قوية الرابطة بالاولى ، لانها جواب عن سؤال يفهم من الاولى ، فهذه الرابطة القوية تمنع العطف ، لأنها أشبهت حالة اتحاد الجملتين (ويسمى ذلك شبه كمال الاتصال ـ مثل رأيته مبتسما ، أظنه نجح)

خامساً ـ أن تكون الاخيرة مناسبة للاولى . ولا مانع من عطفها عليها ، ولكن يعرض حائل بينهما وهو جملة أخرى متوسطة ، فلو عطفت الثالثة على الاولى المناسبة لها لتوهم أنها معطوفة على المتوسطة ، فامتنع العطف بتاتا وأصبحت الجملتان كأنهما منقطعتنان بهذا الحائل ـ و يُسمى ذلك شبه كمال الانقطاع ، نحو : قول الشاعر

وتظنّ سلمى أنّنى أبغى بها بدلا أراها فى الضّلال تَهِيمُ

واعلم أنّ التركيب الذى تجاذبت فيه أسباب الوصل وتعاضدت دواعيه قد يفصل إمّا لمانع من تشريك الجملة الثانية مع الأولى و يُسمى قطعاً كما سبق ، وإمّا

مشاركته له فى التقييد بالظرف ـ وأنّ استهزاء الله بهم مُقيّد بحال خُلوّهم إلى شياطينهم » والواقع أنّ استهزاء الله بالمنافقين غيرُ مقيّد بحال من الأحوال ولهذا وجب أيضا الفصل

تنبيهان

الأول — لمّا كانت الحال تجئ جملة ، وقد تقترن بالواو ، وقد لا تقترن فأشبهت الوصل والفصل ، ولهذا يجب وصل الجملة الحالية بما قبلها بالواو إذا خلت من ضمير صاحبها — نحو : جاء فؤاد والشمس طالعة (١)

لجعله جواب سؤال مقدّر لأغناء السامع عنه ، أو لكراهة سماعه له لو سأل ، أو لكراهة انقطاع كلامه بكلام السائل ، أو للاختصار ، ويُسمّى الفصل لذلك استئنافاً ـ كقوله

فى المهد ينطق عن سعادة جدّه أثر النّجابة ساطع البرهان

« على تقدير أنه جواب كيف ينطق وهو رضيع لم يبلغ أوان النّطق ؟ ؟ »

(١) بيان ذلك أن الحال

إمّا مؤكدة فلا واو للاتحاد بين الجملتين لأنها مقررة لمضمونها نحو سعد أبوك كريما

وإما منتقلة لحصول معنى حال النسبة (أى نسبة العامل الى صاحب الحال) فلزم فيها أمران . الحصول والمقارنة . فالحال المفردة صفة فى المعنى ، فلا تحتاج لواو للاتحاد

وأما الجملة — فالمضارع المثبت لا يؤتى له بواو للارتباط معنى . لوجود الحصول والمقارنة معا ، فلا حاجة للربط بها — نحو وجاءوا أباهم عشاء يبكون ـ ونحو ، قدم الامير تتسابق الفرسان أمامه ، ولا يجوز وجاؤا أباهم عشاء ويبكون ، ولا قدم الامير وتتسابق وهذه إحدى المسائل السبع المذكورة فى النحو التى تمتنع فيها الواو الثانية ـ الحال الواقعة بعد عاطف نحو فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون . الثالثة ـ المؤكدة لمضمون الجملة نحو ـ هو الحق لا شك فيه ، ذلك الكتاب لا ريب فيه . الرابعة ـ الماضى التالى إلاّ ـ نحو ما تكلم زيد إلاّ قال خيراً ـ وقيل يجوز اقترانه بالواو كما ورد فى قوله :

ويجب فصلها فى ثلاثة مواضع

١ إذا كان فعلها ماضياً تَاليا « إلا » أو وقع ذلك الماضى قبل « أو » التى للتّسوية — نحو ماتكلّم فؤاد إلاّ قال خيراً — وكقول الشاعر

كُن للخليل نصيراً جار أو عدلا ولا تشحّ عليه جادَ أوْ بخلا

٢ اذا كان فعلها مضارعا مُثبتا أو منفيّا « بما — أو — لا » نحو :

نِعم امرأ هرم لم تعر نائبة إلا وكان لمرتاع بها وزرا

الخامسة — الماضى المتلو بأو : نحو — لأضربنّه ذهب أو مكث — ومنه

كن للخليل نصيراً جار أو عدلا ولا تشحّ عليه جاد أو بخلا

السادسة — المضارع المنفى بلا — نحو ومالنا لا نؤمن بالله ، مالى لاأرى الهدهد ، وقوله

لو أن قوما لارتفاع قبيلة دخلوا السماء دخلتها لا أحجب

السابعة — المضارع المنفى بما — كقوله

عهدتك ماتصبو وفيك شبيبة فمالك بعد الشيب صبًا متيما

وأبعد الجمل فى الصلاح للحالية الجملة الاسمية لدلالتها على الثبوت — لا على الحصول والمقارنة ، فيجب فيها الواو — نحو (فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون) وقد يكتفى فيها بالضمير ندورا — نحو كلمته فوه الى فىّ — أى مشافهة — ثم الماضى مثبتا لعدم المقارنة فيحسن معها الواو لان الماضى يدل على الحصول المتقدم ، لا الحصول حال النسبة — ويجب « قد » تحقيقا أو تقديراً لتقرّ به من الحال أى لتجعل (قد) الفعل الماضى الدال على حصول متقدم — لاحصول حال النسبة قريبا من حال النسبة لامن حال التكلم — اذ اللازم فى الحال مقارنتها لزمان النسبة لا لزمان التكلم — وانما اكتفى بهذا التقريب فى صحة الحال وان كان اللازم الاقتران — إما لانه ينزل قرب الحال الى زمان النسبة منزلة المقارنة مجازاً — وإما لانه يعتبر قربها فى الفعل هيئة للفعل — فاذا قلت جاءنى زيد وقد ركب — فكأنك نزلت قرب ركوبه من مجيئه منزلة مقارنته له — أو جعلت كون مجيئه بحيث يقرب منه ركوبه هيئة لمجيئه وحالا له

(وَجاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ) ونحو : (وَمَالَنَا لانُؤْمِنُ بِاللهِ) ونحو :

عَهِدْتُكَ ماتَصبُو وفيكَ شَبِيبَةٌ فمالكَ بعد الشَّيبِ صبًّا مُتَيَّمًا

٣ إذا كانت اسمية واقعة بعد حرف عطف ـ أو كانت اسمية مؤكدة لمضمون ما قبلها ـ كقوله تعالى (فجاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُون) وكقوله تعالى (ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِين) (١)

الثانى ـ علم مما تقدَّم أن من مواضع الوصل اتفاق الجملتين فى الخبرية والانشائيـة ، ولا بدَّ مع اتفاقهما من جهـة بها يتجاذبان ، وأمر جامع به

ـ قالوا ـ وتمتنع (قد) مع الماضى الممتنع ربطه بالواو . وهو التالى إلاّ والمتلو بأو ـ لكن فى شرح الرضى ـ انهما قد يجتمعان بعد إلا ـ نحو ما لقيته إلا وقد أكرمنى ويلى الماضى المثبت الماضى المنفى لأنه هيئـة للفعل بالتأويل . لان قولك جاء زيد ليس راكبا ـ فى قوة جاء زيد ماشيا فيتحقق الحصول ويستمر غالبا فيقارن كذلك فيحسن ترك الواو نظراً الى تحقق الحصول والمقارنة ـ ويجوز ذكرها أيضا نظراً الى كونه ما كان هيئة للفعل الا بعد تأويل ـ ونظراً الى كون استمراره أغلبيا لا دائميا والأحسن فى الظرف اذا وقع حالا ترك الواو نظراً للتقدير بمفرد ، تقول نظرت الهلال بين السحاب . ومثله الجار والمجرور نحو نخرج على قومه فى زينته — ونحو أبصرت البدر فى السماء ـ وان جوزوا الواو بتقدير فعل ماض ـ وما يخشى فيه التباس الحال بالصفة أتى فيه بالواو وجوبا ، ليتميز الحال فيقال جاء رجل ويسعى ـ اذا لو قيل يسعى ـ لالتبس الحال بالصفة فى مثله

(١) لما كان قوله ذلك الكتاب ، فيه مظنة مجازفة بسبب ايراد المسند اليه اسم اشارة ـ والمسند معرفا بأل ـ أكده بقوله (لا ريب فيه) تأكيداً معنويا .

ولما كانت الدعوى المذكورة مع ادعاء عدم المجازفة مظنة استبعاد ـ أكده بقوله « هدى للمتقين » تأكيداً لفظيا حتى كأنه نفس الهداية

يتآخذان ، وذلك الجامع إمّا عقلى [١] أو وَهْمى [٢] أو خَيالى [٣]

(١) فالجامع العقلى ـ أمر بسببه يقتضى العقل اجتماع الجملتين فى القوة المفكرة كالاتحاد فى المسند أو المسند اليه ـ أو فى قيد من قيودهما ـ نحو زيد يصلى ويصوم ويصلى زيد وعمرو . . وزيد الكاتب شاعر . وعمرو الكاتب منجم . وزيد كاتب ماهر ، وعمرو طبيب ماهر ـ وكالتماثل والاشتراك فيهما ـ أو فى قيد من قيودهما أيضا بحيث يكون التماثل له نوع اختصاص بهما أو بالقيد ـ لامطلق تماثل ـ فنحو زيد شاعر وعمرو كاتب لايحسن إلاّ إذا كان بينهما مناسبة لهانوع اختصاص بهما ـ كصداقة أو أخوة أو شركة أو نحو ذلك ـ وكالتضايف بينهما . بحيث لا يتعقل أحدهما الا بالقياس الى الآخر كالأبوة مع البنوة ـ والعلة مع المعلول ـ والعلو والسفل ـ والأقل والأكثر ـ إلى غير ذلك

(٢) والجامع الوهمى ـ أمر بسببه يقتضى الوهم اجتماع الجملتين فى المفكرة كشبه التماثل الذى بين نحو لونى البياض والصفرة — فان الوهم يبرزهما فى معرض المثلين من جهة أنه يسبق اليه أنهما نوع واحد زائد فى أحدهما عارض ـ بخلاف العقل فانه يدرك أنهما نوعان متباينان داخلان تحت جنس واحد هو اللون ـ وكالتضاد بالذات ـ وهو التقابل بين أمرين وجوديين بينهما غاية الخلاف ـ يتعاقبان على محل واحد ـ كالسواد والبياض ـ أو التضاد بالعرض كالاسود والأبيض ـ لانهما ليسا ضدين لذاتهما لعدم تعاقبهما على محل واحد ـ بل بواسطة مايشتملان عليه من سواد وبياض ـ وكشبه التضاد كالسماء والأرض ـ فان بينهما غاية الخلاف ارتفاعا وانخفاضاً لكن لايتعاقبان على محل واحد كالتضاد بالذات ، ولاعلى ما يشمله كالتضاد بالعرض

(٣) والجامع الخيالى ـ أمر بسببه يقتضى الخيال اجتماع الجملتين فى المفكرة بأن يكون بينهما تقارن فى الخيال سابق على العطف لتلازمهما فى صناعة خاصة، أو عرف عام ـ كالقدوم والمنشار والمنقاب فى خيال النجار

والقلم والدواة والقرطاس فى خيال الكاتب ـ وكالسيف والرمح والدرع فى خيال المحارب ـ وهلم جرا

أسئلة على الوصل والفصل يطلب أجوبتها

ماهو الوصل ؟ . — ماهو الفصل ؟ ، — كم موضعا للوصل ؟ . — كم موضعا للفصل ؟ . — ماهو الجامع العقلى ؟ . — ماهو الجامع الوهمى ؟ . ما هو الجامع الخيالى ؟ . — متى يجب وصل الجملة الحالية بما قبلها ؟ . — فى كم موضع يجب فصل الجملة الحالية .

تطبيق عام على الوصل والفصل

جرّبت دهرى وأهليه فما تركت لى التجارب فى ودّ امرئ غرضاً

فصلت الثانية لشبه كمال الاتصال فانها جواب سؤال

يسبّح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله

فصلت الثانية لشبه كمال الاتصال فانها جواب سؤال ناشئ مما قبلها

فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا — عطف الجملة الثانية على الأولى لاتفاقهما فى الانشاء مع المناسبة التامة بين المفردات فان المسند اليه فيهما متحد . والمسند وقيدهما متقابلان

ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم — عطف الجملة الثانية على الأولى لاتفاقهما خبراً لفظا ومعنى مع المناسبة التامة بين مفرداتها — فان المسندين المقدرين فيهما متحدان ، والمسندان اليهما متقابلان . وقيدهما الأول متحد . والثانى متقابل

وللقرآن الكريم اليد البيضاء فى هذا الباب — كقوله تعالى أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الأرض كيف سطحت — فالمناسبة بين الابل والسماء — وبينها وبين الجبال والأرض غير موجودة بحسب الظاهر . ولكنه أسلوب حكيم فى غاية البلاغة — لأنه لما كان الخطاب مع

أشكر الله على السّراء ينجيك من الضّراء ـ لم تعطف الثانية على الاولى لكمال الانقطاع . فان الاولى انشائية لفظا ومعنى والثانية عكسها

اصبر على كيد الحسود لا تضجر من مكائده ـ لم تعطف الثانية على الاولى لكمال الاتصال فانها مؤكدة لها

أنت حميد الخصال ـ تصنع المعروف وتغيث الملهوف ـ فصلت الثانية من الاولى لكمال الاتصال فانها بيان لها . ووصلت الثالثة بالثانية للتوسط بين الكمالين مع وجود مانع من الوصل

تمرين (١)

بيّن سر الفصل والوصل فيما يلى

(١) أُخطُ مع الدهر إذا ماخطا واجْرِ مع الدّهر كما يجرى

(٢) حكم المنية فى البرية جارى ما هذه الدُّنيا بدارِ قَرَار

(٣) لاتدعُهُ ان كنتُ تُنصف ناثباً هو فى الحقيقة نائمٌ لا نائب

(٤) قال لى كيف أنت قلتُ عليلٌ سهرٌ دائمٌ وحزنٌ طَوِيلٌ

العرب ، وليس فى تخيلاتهم الا الابل لانها رأس المنافع عندهم ـ والارض لرعيها والسماء لسقيها ـ وهى التى توصلهم الى الجبال التى هى حصنهم عند ما تفجأهم حادثة أورد الكلام على طبق مافى تخيلاتهم

(١) وصل بين الجملتين لاتفاقهما إنشاء مع وجود المناسبة وعدم المانع

(٢) فصل الشطر الثانى عن الاول لانه توكيد معنوى له ـ اذ يفهم من جريان حكم الموت على الخلق أن الدنيا ليست دار بقاء فأكد ذلك بالشطر الثانى فبينهما كمال الاتصال

(٣) فصل الشطر الثانى عن الاول لاختلافهما خبراً و إنشاء اذ الثانى خبر والاول إنشاء ـ فبينهما كمال الانقطاع

(٤) فصل بين قال وقلت لان الثانى جواب سؤال ـ اذ جرت العادة أنه اذا

(٥) قالت بُليتَ فما نَراكَ كعهدنا لَيْتَ العُهُودَ تجدَّدَتْ بعد البِلى

(٦) وتَرَى الجِبالَ تَحْسبُهَا جامدَةً

وانما المرءُ بأصغريه كلّ امرىء رهنٌ بما لديه

لاَ تَطْلُبَنَّ بآلة لَك حاجةً قلمُ البليغ بغير حَظٍّ مِعْزَلُ

(٧) يَرَى البخيلُ سَبيلَ المالِ واحدةً إنّ الكريم يرى فى ماله سُبُلا

(٨) نفسى له نفسى الفداء لنفسه لكنّ بعض المالكين عفيف

(٩) مَا هَذَا بَشَراً إنْ هَذَا إلاّ مَلَكٌ كَرِيمٌ

(١٠) يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُون

(١١) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إنْ هُوَ إلاَّ وَحْىٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى

قيل للرجل كيف أنت . أن يجيب . أنا عليل وكذا بين جملتى سهر دائم وحزن طويل فكأنه قيل: فما سبب علتك ؟؟ فأجاب سهر دائم الخ ففى كل منهما شبه كمال الاتصال

(٥) بين الشطر الثانى والاول كمال الانقطاع لان أولهما خبر والثانى إنشاء

(٦) بين جملتى ترى وتحسب كمال الاتصال لان الثانية بدل اشتمال من الاولى

(٧) بين الشطر الثانى والاول شبه كمال الاتصال لان الثانية جواب عن سؤال مقدر نشأ من الاولى كانه قيل : فما حال الكريم فى ماله ؟؟ فقال ان الكريم الخ

(٨) بين نفسى له ونفسى الفداء كمال الاتصال لان الثانية توكيد لفظى للاولى

(٩) إن هذا الاملك ـ توكيد معنوى لقوله ماهذا بشراً ، اذ جرى العادة والعرف أنه إذا قيل فى معرض المدح : ما هذا بشراً ، وما هذا بآدمى ، أن يكون الغرض أنه ملك ، فيكنى به عن ذلك . فبينهما كمال الاتصال

(١٠) بين يدبر ويفصل كمال الاتصال لان الثانية بدل بعض من كل

(١١) بين قوله وما ينطق عن الهوى وقوله إن هو الا وحى يوحى . كمال الاتصال

(١٢) قَالُوا سَلَامًا، قَالَ سَلَامٌ

(١٣) يهوَى الثّناء مبرّز ومقصّرٌ حبُّ الثناء طبيعةُ الإنسانِ

(١٤) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ

(١٥) وإذا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا

(١٦) ألاَ مَن يشترِى سهراً بنوم سعيدٌ مَنْ يَبِيتُ قَرِيرَ عَيْنِ

(١٧) فآبوا بالرماح مكسّرات وأبنا بالسّيوف قد انحنينا

(١٨) فما الحداثة عنْ حلم بمانعة قَدْ يُوجد الحلمُ فى الشّبانِ والشّيبِ

لان الثانية توكيد معنوى ، لان تقرير كونه وحياً نفى لان يكون عن هوى

(١٢) بين قالوا وقال شبه كمال الاتصال ، لان الثانية جواب عن سؤال مقدر ، كأنه قيل فماذا قال لهم ؟ ؟ حينئذ أجيب بأنه قال سلام ـ وهكذا الحال فى حكاية القصص فى كل ماجاء فى القرآن ، والحديث وكلام العرب

(١٣) فصل بين الشطر الثانى والاول ، لان بينهما كمال الاتصال ـ اذ الشطر الثانى مؤكد للاول

(١٤) فصل جملة يخادعون عما قبلها ، لان بينهما كمال الاتصال ، لان هذه المخادعة ليست شيئا غير قولهم آمنا ـ دون أن يكونوا مؤمنين ، فهى إذا توكيد معنوى للاولى

(١٥) فصلت جملتا كأن لم يسمعها — وكأن فى أذنيه وقرا ، عما قبلهما لانهما كالتوكيد له ، إذ المقصد من التشبيهين واحد ، وهو أن ينفى الفائدة فى تلاوة ماتلى عليه من الآيات ـ فهما من كمال الاتصال

(١٦) فصل الشطر الثانى عن الاول لاختلافهما خبرا و إنشاء ـ فبينهما كمال الانقطاع

(١٧) بين جملتى آبوا وأبنا توسط بين الكمالين لاتفاقهما فى الخبرية مع وجود المناسبة

(١٨) بين الشطر الثانى والاول شبه كمال الاتصال ، اذ الثانى جواب سؤال مقدر

يقولون إنى أحمل الضيم عندهم أعوذ بربى أن يضام نظيرى (١٩)

إنَّ الذينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠)

فياموتُ زُر إنَّ الحياة ذميمةٌ ويانفسُ جِدِّى إن دهرك هاذل (٢١)

يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ (٢٢) وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً (٢٣) وهى تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ـ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ (٢٤)

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٢٥) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ

الباب التاسع

﴿ فى الإيجاز والأطناب والمُساواة ﴾

كلُّ ما يجُول فى الصَّدر من المعانى، ويخطُر ببالك معنًى منها، لا يَعدُو التّعبير عنه طريقا من طُرقٍ ثلاث

---

(١٩) هذا البيت من حيث عدم عطف أعوذ على ماقبله . على حد قوله : وتظن سلمى الخ (٢٠) لم تعطف على ما قبلها مع ان بينهما مناسبة فى المعنى بالتضاد لانها مبيِّنة لحال الكفار ، وما قبلها مبين لحال المؤمنين ، وان بيان حال المؤمنين غير مقصود لذاته ، بل ذكر استتباعا لبيان حال الكفار ، وليس بين بيان حال المؤمنين وحال الكفار مناسبة تقتضى الوصل

(٢١) لم يعطف قوله ان الحياة على ما قبله لانه جواب لسؤال مقدر كانه قيل لماذا تطلب زيارة الموت ؟؟ فأجاب إن الحياة ذميمة (٢٢) لم يعطف قوله يذبحون على يسومون لكونه بيانا له (٢٣) فجملة تحسبها جامدة بدل اشتمال (٢٤) فجملة يفصل الآيات بدل بعض (٢٥) فجملة يلق أثاما بدل كل ـ وقد أنكر بدل الكل علماء البيان خلافاً للنحاة

أولا — إذا جاء التّعبير على قدر المعنى بحيث يكون اللّفظ مُساوياً لأصل ذلك المعنى ـ فهذا هو « المُساواة » وهى الدّستورُ الذى يُقاس عليه

ثانياً — إذا زاد التعبيرُ على قدر المعنى فذلك هو « الإطناب »

ثالثاً — إذا نقص التعبير عن قدر المعنى فذلك هو « الايجاز » (١)

لهذا يختار البليغ للتّعبير عمَّا في نفسه طريقاً من هذه الطُّرق الثّلاث فهو تارةً يُوجِزُ ، وتارةً يُسهبُ ، وتارة يأتى بالعبارة بينَ بينَ

وذلك على حسب مايقتضيه حال المخاطب ، ويدعو اليه موطنُ الخطاب

وفى هذا الباب ثلاثة مباحث

المبحث الاول

﴿ فى الإيجاز واقسامه ﴾

الإيجاز ـ هو جمعُ المعانى المُتكاثِرَة تحت اللّفظ القليل الوافى بالغرض مع الإبانة والإفصاح

يعنى انّ الإيجاز هو تأدية المعنى بأقلّ من مُتعارف الأوساط (١) مع وفائها بالغرض كقوله تعالى (خُذِ الْعَفْوَ وأْمُرْ بِالْعُرْفِ وأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِين)

---

(١) قال الامام على مارأيت بليغا قط الا وله فى القول إيجاز ، وفى المعانى اطالة ـ وقالت بنت الحطيئة لابيها ـ ما بال قصارك أكثر من طوالك قال لانها بالاذان أولج ، وبالافواه أعلق — وقيل لشاعر — لم لا تطيل شعرك ؟؟ .

فقال حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق

(٢) بأن يكون اللفظ اقل من المعهود عادة ، مع وفائه بالمراد ، فان لم يف كان

فهذه الآية القصيرة جمعت مكارم الأخلاق بأسرها ـ وكقوله تعالى (أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ) وكقوله عليه السلام « إنما الأعمال بالنيّات »

فاذا لم تَفِ العبارة بالغرض سمّي « إخلالا وحذفا رديئا » كقول الْيشكُرِى

والعيش خيرٌ فى ظِلا ل النُّوك ممّن عاش كَدَّا

« مراده أن العيش النّاعم الرّغد فى حال الحُمق والجهل خيرٌ من العيش الشّاقّ فى حال العقل » لـكن عبارته لا تفيد ذلك فيُضرب به عُرْض الحائط

وينقسم الإيجاز إلى قسمين . إيجاز قِصَرٍ — (١) وإيجاز حذْف

فإيجاز القِصَر يكون بتضمين العبارات القصيرة معانى كثيرة من غير حذف كقوله تعالى (وَلَكُمْ فِى الْقِصَاصِ حَيَاةٌ) فانّ معناه كثير ، ولفظُه يسير ، إذ المراد أن الإنسان إذا علم أنه متى قَتَل قُتِلَ امتنع عن القتل ، وفى

الايجاز اخلالا وحذفا رديئا ـ كقول عروة بن الورد

عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم ومقتلهم عند الوغى كان أعذرا

يريد إذ يقتلون نفوسهم فى السلم ـ لـكن صوغ كلامه لا يدل عليه . ومثله قول بعضهم نثرا (فان المعروف اذا زجا كان أفضل منـه اذا وفر وأبطأ) ولأجل تمام ما يريد كان عليه أن يقول ـ إذا قلّ وزجا .

واعلم أن متعارف الاوساط هم الذين لم يرتقوا الى درجة البلغاء ولم ينحطوا الى درجة البسطاء ، فهو الدستور الذى يُقاس عليه كل من الأيجاز والاطناب

(١) وايجاز القِصَر . هو ما تزيد فيه المعانى على الالفاظ . وللقرآن الـكريم فيه المنزلة التى لا تسامى ـ والغاية التى لا تدرك

فمن ذلك قوله تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) فهذه الآية قـد جمعت مكارم الاخلاق . وانطوى تحتها كل دقيق وجليل . إذ فى العفو

ذلك حياته وحياة غيره . لأنّ (القتل أنفى للقتل [١]) وبذلك تعمر الأعمار ، وتكثر الذرّية . ويقبل كلٌّ واحد على ما يعود عليه بالنفع ، وينتظم النظّام . ويكثر العُمران

وهذا القسم مطمح نظر البلغاء . وبه تتفاوت أقدارهم . حتّى أنّ بعضهم سئل عن البلاغة فقال : هى « إيجاز القِصر » وقال أكثم بن صيفى خطيب العرب « البلاغة الإيجاز »

الصفح عمن أساء ، وفى الامر بالمعروف صلة الارحام . ومنع اللسان عن الكذب وغضّ الطرف عن كل المحارم — وقوله عز اسمه (والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس) استوعبت تلك الآية الكريمة أنواع المتاجر وصنوف المرافق التى لا يبلغها العدّ — وقوله (ألا له الخلق والامر) هاتان كلمتان أحاطتا بجميع الأشياء على غاية الاستقصاء — وقوله عليه السلام (المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء . وعوّدوا كل جسم ما اعتاد) فقد تضمّن ذلك من المعانى الطبيّة شيئا كثيراً

وقول علىّ كرّم الله وجهه « من استقبل وجوه الآراء عرف وجوه الخطأ »

وقول بعض الأعراب (اللهم هب لى حقك وأرض عنّى خلقك)

فسمعه علىّ عليه السلام فقال هذا هو البلاغة ومنه قول السموءل

وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس إلى حسن الثناء سبيل

فقد اشتمل على حميد الصفات من سماحة وشجاعة وتواضع وحلم وصبر واحتمال مكاره — إذ كل هذه مما تضيم النفس لما يحصل فى تحملها من المشقة والعناء

والسبب فيما له من الحسن والروعة دلالة قليل الالفاظ على كثير المعانى إلى ما فيه من الدلالة على التمكن فى الفصاحة والبراعة ولذا قال محمد الأمين « عليكم بالايجاز فانّ له إفهاما . وللإطالة استبهاما » وقال آخر « القليل الكافى خير من كثير غير شاف »

(١) لقد أثر ونُقل عن العرب قولهم « القتل أنفى للقتل » وأين هذا المثل من هذه

وإيجاز الحذف يكون بحذف شئ من العبارة لايخلّ بالفهم، مع قرينة تُعيّن المحذوف — وذلك المحذوف إما أن يكون

١ حرفا — كقوله تعالى (وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا) ـ أصله ولم أكن (١)

٢ أو اسما مضافا ـ نحو (وَجَاهِدُوا فِى اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ) أى فى سبيل الله

٣ أو إسما مضافا اليه ـ نحو (وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ) أى بعشر ليال

٤ أو إسما موصوفا ـ نحو (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا) أى عملا صالحا

٥ أو إسما صفة ـ نحو (فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ) أى مضافا إلى رجسهم

٦ أو شرطاً ـ نحو (اتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللهُ) أى فان تتبعونى

٧ أو جواب شرط ـ نحو (وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ) أى لرأيت أمراً فظيعاً

٨ أو مسنداً ـ نحو (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ) أى خلقهنّ الله

الآية الشريفة التى تمتاز بوجوه ـ منها أنها كلمتان، وما نُقِل عنهم أربع ـ ومنها أنه لا تكرار فيها. وفيما قالوه تكرار ـ ومنها أنه ليس كل قتل يكون نافيا للقتل، وانما يكون كذلك اذا كان على جهة القصاص ـ ومنها حسن التأليف وشدة التلاؤم المدركان بالحسّ فى الآية الكريمة التى بلغت حدّ الاعجاز، لافيما قالوه فى مثلهم البسيط الذى لا يزيد عن متعارف الاوساط

(١) وكحذف لا فى قول عاصم المنفرى

رأيت الخمر جامدة وفيها خصال تفسد الرجل الحليما
فلا واللهِ أشربها حياتى ولا أسقى بها أبدا ندمانا

٩ أو مسنداً اليه ـ كما فى قول حاتم

أماوىُّ ما يغنى الثّراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصّدر

أى إذا حشرجت النفس يوماً

١٠ أو متعلّقاً ـ نحو (لا يُسأَلُ عمّا يَفعَلُ وَهُمْ يُسأَلون) أى عمّا يفعلون

١١ أو جملة ـ نحو (كَانَ الناسُ أُمّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النبيِّينَ) أى فاختلفُوا فبعث

١٢ أو جملا ـ كقوله تعالى (فَأَرسِلونِ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ)[1] أى فأرسلونى إلى يوسف لأستعبره الرؤيا، فَأَرسلوه فأتاه وقال له يا يوسف

واعلم أنّ دواعى الايجاز كثيرة ـ منها الاختصار، وتسهيل الحفظ وتقريب الفهم، وضيق المقام، واخفاء الأمر على غير السامع، والضّجر والسّآمة، وتحصيل المعنى الكثير باللّفظ اليسير الخ

ويستحسن «الايجاز» فى الاستعطاف، وشكوى الحال، والاعتذارات

يريد لا أشربها

ويشترط فى ايجاز الحذف أن يقوم دليل على المحذوف وإلاّ كان الحذف رديئا الكلام وغير مقبول

(١) فأرسلون حكاية عن أحد الفتيين الذى أرسله العزيز الى يوسف ليستعبره مارآه. واعلم أنه لابد من دليل يدل على المحذوف وهو ـ اما العقل وحده: نحو وجاء ربك ـ وإما العقل مع غيره: نحو حرمت عليكم الميتة ـ أى تناولها ـ وإما العادة: نحو فذلكنّ الذى لمتنني فيه ـ أى فى مراودته. وإما الشروع فيه: نحو بسم الله الرحمن الرحيم ـ أى أؤلّف مثلا. وإما مقارنة الكلام للفعل: كما تقول لمن تزوج «بالرفاء والبنين» أى أعرست متلبسا بالاتفاق والبنين

والتعزية ، والعتاب ، والوعد والوعيد ـ والتّوبيخ ، ورسائل استخراج الخراج وجباية الأموال ورسائل الملوك فى أوقات الحرب إلى الوُلاة والأوامر والنّواهى الملكية ، والشكر على النّعم

المبحث الثانى

﴿ في الإطناب وأقسامه ﴾

الإطناب زيادة اللّفظ على المعنى لفائدة ، أو هو تأدية المعنى بعبارة زائدة عن مُتعارف الأوساط لفائدة تقويته وتوكيده ـ نحو (رَبِّ إنِّى وَهَنَ الْعظْمُ مِنِّى وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا) ـ أى كبرتُ

فاذا لم تكن فى الزّيادة فائدة يُسمَّى «تطويلا» إن كانت الزّيادة غير مُتعيِّنة

ويُسمَّى « حشواً » إن كانت الزّيادة مُتعينة

فالتّطويل — كقول عدىّ العبادى في جُذيمةَ الأبرَش

وقدَّتْ الأديمَ لراهِشَيْه وألفَى قولها كذِبا ومَيْنا (١)

﴿ تنبيه ﴾ حذف الجمل أكثر ما يرد فى كلام الله عز وجل ، إذ هو الغاية فى الفصاحة ، والنهاية فى مراتب البلاغة

(١) وقدّت أى قطعت . والضمير فيه يعود على الزّباء . وهى امرأة ورثت المُلك عن أبيها ـ والأديم الجلد ، ولراهشيه أى الى أن وصل القطع للراهشين وهما عرقان فى باطن الزراع يتدفق الدم منهما عند القطع ـ والضمير فى ألفى يعود على المقطوع راهشاه وهو جُذيمة الأبرش . والمراد الاخبار بأن جذيمة غدرت به الزباء وقطعت راهشيه وسال منه الدم حتى مات ، وأنه وجد ما وعدته من تزوّجه بها كذبٌ ـ وكقول الشاعر

ألا حبّذَا هِندٌ وأرضٌ بها هِندٌ وهند أتى من دونِها النّأْىُ والبُعدُ

فالنأى والبعد بمعنى واحد ، ولا يتعين أحدهما للزيادة

فالمينُ والكذب بمعنى واحد . ولم يتعيّن الزائد منهما ، لان العطف بالواو لا يفيد ترتيباً ولا تعقيباً ولا مَعِيَّة .

والحشو ـ كقول زُهير بن أبي سلمى

وأعلمُ علم اليوم والأمس « قبله » ولكنّني عن علم ما فى غد عمِى (١)

وكلٌّ من الحشو والتّذييل معيب فى البيان . وكلاهما بمعزِل عن مراتب البلاغة

واعلم أنَّ دواعىَ الاطناب كثيرة . منها تثبيت المعنى ؛ وتوضيح المراد ، والتّوكيد ، ورفع الايهام ، وإثارة الحمية ـ وغير ذلك

وأقسام الاطناب كثيرة (٢)

١ منها ذكر الخاص بعد العام ـ كقوله تعالى (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى) وفائدته التنبيه على فضل الخاص حتى كأنه لفضله ورِفعته جزء آخر مغاير لما قبله

٢ ومنها ذكر العام بعد الخاص ـ كقوله تعالى (٣) (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ)

وفائدته شمول بقية الافراد ـ والاهتمام بالخاص لذكره ثانيا فى عنوان

---

(١) الشاهد فى قوله ـ قبله ، لأنه معلوم من قوله أمس : وكقول الآخر

ذكرت أخى فعاودنى صُداعُ الرأس والوَصبُ

فان الصّداع لا يكون الا فى الرأس ، فذكر الرأس لا فائدة فيه

(٢) ومنها الحروف الزائدة . وتكثير الجمل ـ نحو فبما رحمة من الله لِنتَ لهم

(٣) من دعاء سيدنا نوح لنفسه ولوالديه وللمؤمنين

عام . بعد ذكره أولا فى عنوان خاص

٣ ومنها الإيضاح بعد الإبهام لتقرير المعنى فى ذهن السامع بذكره مرّتين ، مرّة على سبيل الأبهام والأجمال ، ومرّة على سبيل التفصيل والأيضاح ، كقوله تعالى (وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ)

فقوله : أَنّ دابر هؤلاء تفسير وتوضيح لذلك الأمر ، وفائدته تفخيم شأن المُبيّن وتمكينه فى النفس زيادة تمكّن

٤ ومنها التّوشيع ـ وهو أن يُؤتى فى آخر الكلام بمُثنّى مفسّر بمفردين ليُرى المعنى فى صورتين ، يخرج فيهما من الخفاء المُستوحش إلى الظّهور المأنوس ـ نحو ـ العلم علمان ، علم الأبدان ، وعلم الأديان

٥ ومنها التّكرار ـ وهو ذكر الشئ مرّتين أو أكثر ـ لأغراض

الاول ـ التأكيد كقوله تعالى (كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ) (١) وكقوله تعالى (فانّ مع العُسر يُسراً إنّ مع العسر يُسراً)

الثانى ـ طول الكلام لئلاّ يجئ مبتوراً ليس له طَلاوة ـ كقوله

وانّ امرأً دامت مواثيقُ عهده على مثل هذا إنه لكريمُ (٢)

الثالث ـ قصد الاستيعاب نحو ـ قرأت الكتاب باباً باباً ـ وفهمته كلمة كلمة

الرابع ـ زيادة التّرغيب فى العفو ـ كقوله تعالى (إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلاَدِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ . وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا

---

(١) أى سوف تعلمون ما أنتم عليه من الخطأ اذا شاهدتم هول المحشر

(٢) الشاهد فى تكرير إنّ فى أول البيت ، وتكريرها فى آخره

فإنَّ اللهَ غفورٌ رَحِيمٌ)

الخامس ـ استمالة المخاطب لقبول الخطاب كقوله تعالى (وَقالَ الذِي آمَنَ يا قَوْمِ اتَّبِعونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشادِ يا قَوْمِ إنَّمَا هَذِهِ الْحَياةَ الدُّنيَا مَتَاعٌ)

(السادس) ـ التّنويه بشأن المخاطب نحو ـ انَّ الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن ابراهيم

السابع ـ التّرديد ـ وهو تكرار اللفظ متعلقًا بغير ما تعلّق به أوّلا نحو — السَّخى قريبٌ من الله ، قريبٌ من الناس ، قريبٌ من الجنة والبخيل بعيدٌ من الله بعيدٌ من الناس بعيدٌ من الجنة

الثامن — التّلذُّذ بذكره ، نحو قول مَروان بن أبى حَفصة

سقى الله نجداً والسّلامَ على نجد وياحبّذا نجد على القُرب والبُعد

التاسع — الارشاد إلى الطريقة المُثلى كقوله تعالى (أَوْلَى لَكَ فأَوْلَى ثمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى)

٦ ومنها الاعتراض — وهو أن يؤتى فى أثناء الكلام، أو بين كلامين متّصلين فى المعنى بجملة معترضة أو أكثر لامحلَّ لها من الاعراب[1]

وذلك لأغراض يرمى إليها البليغ ـ غير دفع الإيهام

---

(١) لم يشترط بعضهم وقوعه بين جزئى جملة ولا بين كلامين ، بل جوز وقوعه آخر الكلام مطلقا سواء وليه ارتباط بما قبله أولا ـ كقوله تعالى وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل — فجملة ونعم الوكيل معترضة ، وليست معطوفة على ما قبلها حتى يلزم عطف الانشاء على الخبر

(ا) كالدُّعاء نحو : إنِّى « حفظك الله » مريض

وكقول عوف بن محلم الشَّيبانى

إنَّ الثَّمـــانين وبلَّغتَهـا قد أحوجَتْ سمعى إلى تَرجمان (١)

(ب) والتَّنبيه على فضيلة العلم — كقول الآخر

واعْلَمْ فعلمُ المرء ينفعهُ أنْ سوف يأتى كل ما قُدِرا

(ج) والتَّنزيه كقوله تعالى (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ)

(د) وزيادة التَّأكيد ـ كقوله تعالى (وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِى عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِى وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىَّ الْمَصِيرُ)

(هـ) والاستعطاف ـ كقول الشاعر

وخفوقِ قلبٍ لو رأيتَ لهيبه ياجنّتى لرأيتَ فيه جهنّما

(و) والتَّهويل نحو : وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ

٧ ومنها الإيغال — وهو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتمُّ المعنى بدونها كالمبالغة فى قول الخنساء

وإنَّ صخراً لتأتمُّ الهُداة به كأنه عَلَمٌ فى رأسه نار

فقولها « كأنه علم » واف بالمقصود ، لكنها أعقبته بقولها « فى رأسه نار » لزيادة المبالغة ، ونحو : والله يرزق من يشاء بغير حساب

---

(١) بلغنها بفتح التاء أى بلغك الله اياها — وترجمان كزعفران ويجوز ضم التاء مع الجيم . واعلم أن الدعاء من الشاعر موجه إلى المخاطب بطول عمره — وأن يعيش مثله ثمانين سنة ـ واعلم أنه قد يقع الاعتراض فى الاعتراض كقوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون

٨ ومنها التّذييلُ ـ وهو تعقيب جملة بجملة أخرى مُستقلّة تشتمل على معناها تأكيداً لها [١] نحو (وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) ونحو (ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ)

والتذييلُ « قسمان »

(ا) جارٍ مَجْرَى الأَمثال لاستقلال معناه واستغنائه عما قبله كقول طَرَفةَ

كلّ خليل قد كنت خالته ... لا ترك الله له واضحه

كلّلم أروغُ من ثعلب ... ما أشبهَ الليلةَ بالبارحة

(ب) وغير جار مجرى الأمثال ـ لعدم استغنائه عمّا قبله، ولعدم استقلاله بافادة المعنى المراد كقول النابغة

لم يُبق جودُك لى شيئا أؤمله ... تركتنى أصحبُ الدنيا بلا أمل

فالشطر الثانى مؤكد للأول، وليس مستقلاعنه، فلم يجر مجرى المثل

٩ ومنها الاحتراس — ويقال له التكميل ـ وهو أن يُؤتى بعد كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفع ذلك الإيهام

يعنى أن الاحتراس يُوجَدُ حينما يأتى المتكلم بمعنى يُمكن أن يدخل عليه فيه لومٌ، فيفطن لذلك ويأتى بما يخلصه سواء وقع فى وسط الكلام نحو

فَسَقَى ديارَكِ غيرَ مُفسدِها ... صوبُ الرّبيع وديمةٌ تَهمى

---

(١) التأكيد ضربان التأكيد المنطوق كما فى هذه الآية ـ التأكيد المفهوم كقوله:

ولستَ بمُستَبقٍ أخا لا تلُمّه ... على شعث أىّ الرجال المهذّب ؟؟

دلّ بمفهومه على نفى الكمال من الرجال، فأكده بقوله (أىّ الرجال المهذب)

فقوله غير مفسدها للاحتراس — أو وقع فى آخره

نحو (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ على حُبِّهِ) أى مع حبّ الطعام واشتهائهم له وذلك أبلغ فى الكرم

وكقول أعرابية لرجل (أذَلَّ الله كلَّ عدوٍّ لك إلاّ نفسك)

١٠ ومنها التتميم — وهو زيدة كلمة أو أكثر توجد فى المعنى حُسنا

بحيث لو حذفت صار الكلام مُبتذلا — كقول ابن المعتز يصف فرسا

صببنا عليها ظالمين سياطنا فطارت بها أيدٍ سراعٌ وأرجُل

اذ لو حذف ظالمين لكان الكلام مبتذلا ، لا رِقّة فيه ولا طلاوة وتوهّم أنها بليدة تستحقّ الضرب

ويستحسن الاطناب فى الصلح بين العشائر ، والمدح والثناء ، والذم والهجاء ، والوعظ والارشاد ، والخطابة فى أمر من الأمور العامة ، والتهنئة ومنشورات الحكومة الى الأمة . وكتب الوُلاة الى الملوك لاخبارهم بما يحدث لديهم من مهام الامور

واعلم أن الأطناب أرجح عند بعضهم من الأيجاز ، وحُجّته فى ذلك أنّ المنطق إنما هو البيان . والبيان لا يكون الا بالأشباع . والشّفاء لا يقع إلاّ بالأقناع . وأفضل الكلام أبينه . وأبينه أشدّ إحاطة بالمعانى . ولا يحاط بالمعانى احاطة تامة إلاّ بالاستقصاء

والمختار أن الحاجة الى كلٍّ ماسّةٌ . ولكلّ موضعٌ لا يسدّ أحدهما مكان الآخر فيه . وللذوق السليم القول الفصل فى هذه الشؤون .

المبحث الثالث

﴿ فى المُساواة ﴾

المُساواة — هى تأدية المعنى المراد بعبارة مساوية له[1] — بأن تكون المعانى بقدر الالفاظ . والألفاظ بقدر المعانى . لا يزيد بعضها على بعض وهى الأصل المقيس عليه ، والدّستور الذى يُعتمد عليه

كقوله تعالى (وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ) فإنّ اللّفظ فيه على قدر المعنى — لا ينقص عنه ولا يزيد عليه

وكقول طَرَفَةَ بن العبد .

ستُبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تُزَوِّد

أسئلة على الايجاز والاطناب والمساواة يطلب أجوبتها

ما هى المساواة ؟ — ما هو الايجاز ؟ . — ما هو الإطناب ؟ . — كم

---

(١) المساواة هى ما ساوى لفظه معناه بحيث لا يزيد أحدهما على الآخر — وهى نوعان

الأول — مساواة مع الاختصار وهى أن يتحرّى البليغ فى تأدية المعنى أوجز ما يكون من الالفاظ القليلة الاحرف . الكثيرة المعانى — كقوله تعالى (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) وكقوله تعالى (ولا يحيق المكر السيئ إلاّ بأهله)

والثانى — مساواة بدون اختصار « ويسمى المتعارف » وهو تأدية المقصود من غير طلب للاختصار . كقوله تعالى (حور مقصورات فى الخيام) والوجهان فى المركز الأسمى من البلاغة — غير أن الأول أدخل فيها وأدل عليها

والمساواة فن من القول عزيز المنال . تشرأبّ اليه أعناق البلغاء ، لكن لا ترتقى

قسما الايجاز ؟ . ـ ما هو إيجاز القِصَر ؟ ـ ما هو ايجاز الحذف ؟ ـ بأى شئ يكون إيجاز الحذف ؟ ـ كم قسما الاطناب ؟ ـ ما هو ذكر الخاص بعد العام ماهو ذكر العام بعد الخاص ؟ ماهو الايضاح بعد الابهام ؟ ماهو التكرار ماهو الاعتراض ؟ ـ ماهو الايغال ؟ ـ ما هو التوشيع ؟ ـ ما هو التذييل ماهو التكميل ؟ . ـ ماهو التتميم ؟ . ـ ماهو الاحتراس ؟ . ـ ماهو الفرق بين التطويل والحشو ؟ . ما هى دواعى الايجاز ؟ ـ ماهى دواعى الاطناب كم قسما التذييل ؟ ـ أيكون الاطناب بغير هذه الانواع

تطبيق عام على الايجاز والاطناب والمساواة

درست الصرف ـ فيه مساواة لأن اللفظ على قدر المعنى ـ ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيراً . فيه اطناب بالتتميم فان على حبه فضلة لزيادة التحسين فى المعنى

ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله ـ فيه مساواة

المرء بأدبه ـ فيه إيجاز قصر لتضمن العبارة القصيرة معانى كثيرة

تالله تفتأ تذكر يوسف ـ فيه ايجاز حذف وهو لا .

وأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق ـ فيه ايجاز حذف جملة أى فضرب فانفلق

ألا كل شئ ما خلا الله باطل ـ فيه اطناب بالاحتراس

إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى ظمئت وأىّ الناس تصفو مشاربه

فيه الاطناب بالتذييل . والجملة الثانية جارية مجرى المثل

الى ذراه إلا لانتداد لصعوبة المرتقى وخلاة المقصد ، والمساواة يعتبرها بعضهم وسطا بين الايجاز والاطناب ، وبعضهم يدمجها ولا يعدها قسما ثالثا للايجاز والاطناب .

جوزى المذنب بذنبه وهل يجازى الا المذنب . فيه اطناب بالتذييل . وليس جاريا مجرى المثل

ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه ـ فيه اطناب بالاحتراس

البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة ـ فيه اطناب بالترديد

ولكنّ البر من اتقى ـ فيه ايجاز حذف مضاف ـ أى ذا البرّ

واهتمّ للسفر القريب فانه أنأى من السفر البعيد واشنع

فيه اطناب بالأيغال . فان أشنع مزيدة للترغيب فى الاهتمام

خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا . فيه ايجاز حذف ـ أى خلطوا عملا صالحا بسيئ وعملا سيئا بصالح

والليل اذا يَسْرِ ـ فيه ايجاز بحذف الياء . وسبب حذفها ان الليل لمّا كان غير سار وانما يسرى مَن فيه . نقص منه حرف، اشارة الى ذلك جريا على عادة العرب فى مثل ذلك

ليحق الحق و يبطل الباطل ـ فيه ايجاز بحذف جملة ـ أى فعل ذلك

تمرين

بيّن الايجاز والاطناب والمساواة وأقسام كل منها فيما يأتى

إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَالْفُلْكِ الَّتِى تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١)

---

(١) فى هذه الآية الاطناب بتكثير الجمل . وهذا خلاف الانواع السابقة . وذلك لأنه لما كان الخطاب مع العموم وفيهم الذكى والغبى صرح بخلق أمهات الممكنات الظاهرة ليكون دليلا على القدرة الباهرة ـ وذلك بدل أن يقال (ان فى وقوع كل ممكن

خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين (١) يأخذ كل سفينة (٢)

أنا ابن جلا (٣) وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفونى

فالله هو الولى (٤) وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك (٥)

فقلت يمين الله أبرح قاعداً (٦) ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى

شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة ويستحل دم الحجاج فى الحرم (٧)

تطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب (٨)

ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن (٩) فأولئك كان سعيهم مشكوراً

لله لذة عيش بالحبيب مضت ولم تدم لى وغير الله لم يدم (١٠)

وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء (١١) يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة — فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم (١٢)

حليم إذا ما الحلم زين لأهله مع الحلم فى عين العدو مهيب (١٣)

تساوى طرفاه لآيات للعقلاء) (١) فيه ايجاز القصر لأنه قد جمع مكارم الاخلاق

(٢) أى سفينة سالمة (٣) أى أنا ابن رجل جلا (٤) الشرط محذوف أى ان أرادوا ولياً فالله هو الولى (٥) أى فاقتد واصبر (٦) أى لا أبرح

(٧) فى الحرم — ايغال للزيادة فى المبالغة

(٨) فيه التذييل (٩) احترس بقوله وهو مؤمن عن توهم الاطلاق

(١٠) فيه تذييل جار مجرى الامثال (١١) فى قوله (من غير سوء) احتراس عن توهم بياض البرص ونحوه (١٢) فيه الاعتراض

(١٣) فى البيت احتراس

أتى الزمانَ بنوه فى شبيبته ... فسرَّهُمْ وأتيناهُ على هرم (١)

وألفيتُه بحراً كثيراً فُضُولُهُ ... جَواد متَى يذكر له الخير يَزْدَدِ (٢)

فأن كنتَ لا تستطيعُ دَفعَ منيَّتى ... فذَرْنِى أُبَادِرْهَا بِمَا ملكتْ يدى

ما أحسنَ الايامَ إلاّ أنها ... ياصَاحِبَىّ إذَا مضت لم ترجع

ولستَ بِمُستبقٍ أخاً لا تلمُّه ... على شَعَث أىُّ الرِّجَالِ المُهذّبُ

تأمّل من خِلَالَ السَّجف وانظر ... بعينك ماشربتُ ومَنْ سقَانى

تجد شمس الضُّحى تَدنُو بشمسٍ ... الىّ من الرَّحيق الخُسروَانى

خاتمة

الأصول والمُقتضيات المذكورة فى هذا الفنّ ليست مَسُوقةً على سبيل الحصر ، وانّما هى نموذج يُنبّه الطالب على اعتبار ما يحسن فى الذّوق اعتباره ، ويُعينه على استخراج ما فى الكلام من وجوه البلاغة (٣)

والقاعدة أنه متى وُجد الكلام الصّادر عمّن يُعتدّ بكلامه مُستعملا فى

---

(١) فى البيت ايجاز ـ أى وأتيناه على هرم (فسادنا)

(٢) فى البيت اطناب ـ فان قوله متى يذكر الخير يزدد تكميل

(٣) علمتَ أنّ البلاغة متوقفة على مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، ورأيت فى ما تقدم من الأحكام أن مقتضى الحال يجرى على مقتضى الظاهر ، وهذا بالطبع هو الاصل ، ولكن قد يُعدل عمّا يقتضيه الظاهر الى خلافه ، ممّا تقتضيه الحال فى بعض مقامات الكلام لاعتبارات يراها المتكلم

غير معناه الأصلي المعروف له وضعاً طُلِبَ المُراد بالتأمّل الصّادق مستعيناً بالقرائن وسياق المقال حتى ينجلي له وجه العدول ـ وقد تقدّم كثير من ذلك العدول (المسمّى باخراج الكلام على خلاف مُقتضى الظّاهر) في الابواب السابقة

وبقي من هذا القبيل أنواع أخرى

الأول ـ الالتفات وهو نقل الكلام من حالة التكلم أو الخطاب أو الغَيبة الى حالة أخرى من ذلك ، لِمُقتضيات ومُناسبات تظهر بالتأمُّل في مواقع الالتفات ، وتلويناً للخطاب حتى لا يملّ السّامع من التزام حالة واحدة «فانّ لكل جديد لذّة» ولبعض مواقعه لطائف، ملاكُ إدراكها الذوقُ السليم

واعلم أنّ صور العدول الى الالتفات ستة

١ عدولٌ من التّكلم الى الخطاب ـ كقوله تعالى (وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)

٢ عدولٌ من التّكلم الى الغَيبة ـ كقوله تعالى (يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ)

٣ عدولٌ من الخطاب الى التّكلّم ـ كقوله تعالى (وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ)

٤ عدول من الخطاب الى الغيبة ـ كقوله تعالى (رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ)

٥ عدولٌ من الغيبة الى التّكلّم ـ كقوله تعالى (وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًى بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا)

٦ عدولٌ من الغيبة الى الخطاب ـ كقوله تعالى (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ

بَنِى إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللهَ)

الثانى ـ تجاهُلُ العارف ، وهو سَوق المعلوم مساق المجهول ؛ بأن يَجْعَل العارفُ بالشئ نفسه جاهلة به ـ وذلك لأغراض

١ كالتعجب نحو قوله تعالى (أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنتُمْ لاَ تُبْصِرُونَ)

٢ والمبالغة فى المدح ـ نحو ـ وَجْهكَ بدْرٌ أم شمسٌ

٣ والمُبالغة فى الذَّم ـ كقول الشاعر

وَما أدرِى وَسوفَ إخالُ أدرى أقومٌ آلُ حصنٍ أم نساءُ

٤ والتّوبيخ وشِدّة الجزع كقول الشاعر

أيا شَجَرَ الخابور مَالَكَ مُورِقا كأَنكَ لَم تَجزَعْ على ابن طَرِيفِ (١)

٥ وشِدّة الوَلَهِ ـ كقول الشاعر

باللهِ ياظبيات القاعِ قُلْن لنَا ليلاىَ منكنّ أم ليلى منَ البَشَر

٦ والفخر كقوله

أَيُّنا تعرف المواقف منه وَثَباتٍ على العِدَا وَثَباتا

الثالث — القَلب (٢) وهو جعل كلٍّ من الجزأين فى الكلام مكان

---

(١) تجاهلت أخت طريف عن سبب انتفاء الجزع عن الشجر لشدة التحير والتضجر

(٢) ويستدل عليه بالتأمل فى المعنى فنحو عرضتُ الناقة على الحوض . وأدخلت الخاتم فى أصبعى ـ أصله « عرضت الحوض على الناقة » لأن العرض يكون على ماله ادراك » وأصله أدخلت أصبعى فى الخاتم « لان الظرف هو الخاتم » والنكتة ان الظاهر الاتيان بالمعروض الى المعروض عليه . وتحريك المظروف نحو الظرف ولما كان ما هنا بالعكس قلبوا الكلام رعاية لهذا الاعتبار ـ وانما يقبل حيث يتضمن اعتباراً لطيفا

صاحبه . لغرض كالمبالغة ـ نحو : قول رُؤبَة بن العَجَاج

ومَهْمَهٍ مغبَرَّةٍ أرجاؤُها كأنَّ لونَ أرضِهِ سَمَاؤُهُ (١)

أى كأنّ لون سمائه لغبرتها لون أرضه ، مُبالغة فى وصف لون السماء بالغُبْرَة ، حتى صار بحيث يشبّه به لون الأرض .

ونحو : أدخلت الخاتم فى أصبُعى ، وعرضت النّاقة على الحوض

الرابع — التّعبير عن المضارع بلفظ الماضى — وعكسه

فمن أغراض التّعبير عن المضارع بلفظ الماضى

«ا» التّنبيه على تحقيق وقوعه — نحو — (أَتَى أَمْرُ اللهِ) ـ أى يأتى

«ب» وقرب الوقوع — نحو قد أقامتِ الصلاَة ـ ى قَرُب القيام لها

«ج» والتفاؤل — نحو — إنْ شفاك الله تذهبْ معى

«د» والتعريض ـ نحو ـ (لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ)

فيه تعريض للمشركين بأنهم قد حُبِطت أعمالهم

ومن أغراض التّعبير عن الماضى بلفظ المضارع

«ا» حكاية الحالة الماضية باستحضار الصّورة الغريبة فى الخيال

نحو (اللهُ الذى أَرْسَلَ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً) بدل فأثارت

«ب» وإفادة الاستمرار فيما مضى ـ نحو ـ (لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ) أى لو استمرّ على إطاعتكم لهلكتم

الخامس — التّعبير عن المستقبل بلفظ اسم « الفاعل »

نحو (إِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ)

---

(١) والمهمه المفازة البعيدة ـ وأرجاؤه نواحيه

أو « المفعول » ـ نحو (ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاس)

وذلك لأنّ الوصفين المذكورين حقيقةٌ فى الحال مجازٌ فيما سواه

السادس — التّغليب وهو ترجيح أحد الشيئين على الآخر فى اطلاق لفظه عليه ـ وذلك

١ كتغليب المذكر على المؤنّث فى قوله تعالى (وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِين) وبالعكس ـ نحو ـ الأبوين (للأب والأم)

٢ وكتغليب الأخفّ على غيره ـ نحو الحَسَنين فى الحَسَن والحُسين

٣ وكتغليب الأكثر على الأقل ـ كقوله تعالى (لَنُخْرِجَنَّكَ يَاشُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا)

أدخل شُعيبٌ فى العود إلى ملّتهم ، مع أنه لم يكن فيها قطّ ، ثم خرَج منها وعاد ، تغليبا للأكثر .

٤ وكتغليب العاقل على غيره كقوله تعالى (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِين)

وصلّ الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

تم علم المعانى * ويليه علم البيان * والله المستعان